IRCICA

مجلة علمية محكمة تعنى بالتاريخ والحضارة الإسلامية

المجلد II ◉ العدد 4 ◉ خريف 2014

مجلة إرسيكا

المجلد II ، العدد 4
خريف 2014
ISSN 2148-2772

منظمة التعاون الإسلامي
مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية

إرسيكا

رئيس التحرير

د. خالد أرن
مدير عام إرسيكا

تحرير

أ. د. خُرّم قادر، المدير السابق لـ(NIHCR) باكستان
أ. د. أيمن فؤاد سيد، جامعة الأزهر
د. صادق أوناي، إرسيكا
د. جنكيز طومار، إرسيكا

هيئة التحرير

الرئيس: د. خالد أرن مدير عام مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية

أ. د. آلب أرسلان آجيق كنج جامعة يلديز التقنية
أ. د. أيمن فؤاد سيد جامعة الأزهر
د. جنكيز طومار إرسيكا
أ. د. خرّم قادر المدير السابق لـ NIHCR باكستان
أ. د. رمضان ششن إرسيكا
زينب دروقال إرسيكا
د. صادق أوناي إرسيكا
د. صالح سعداوي إرسيكا
أ. د. صبحي ساعتجي جامعة معمار سنان
أ. د. طالب كوجوك جان جامعة مرمرة
أ. د. عامر باسيج إرسيكا
أ. د. عزمي أوزجان رئيس جامعة بيلجك
أ. د. فاضل بيات إرسيكا
فيصل بن عيسى إرسيكا
أ. د. محمد إبشيرلي جامعة الفاتح
أ. د. محمد عاكف آيدين جامعة مديبول
أ. د. مرتضى بدر جامعة استانبول
د. نزيه معروف إرسيكا

هيئة المستشارين

د. حمد الضوياني رئيس هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية - عمان

أ. د. بهيجة زلاطار معهد الاستشراق سراييفو

أ. د. خليل إينالجيق جامعة بيلكنت

أ. د. رفائيل حكيموف أكاديمية تتارستان للعلوم

أ. د. ريجارد بوليت جامعة كولومبيا

أ. د. سعد عبد العزيز الراشد عضو مجلس إدارة إرسيكا

أ. د. شريف أحمدي مقدونيا

أ. د. طوفان بوزبينار عضو الهيئة الإدارية لمجلس التعليم العالي التركي

أ. د. عبد الرحمن المودن جامعة محمد الخامس - المغرب

أ. د. عبد الرحيم أبو حسين الجامعة الأمريكية - بيروت

أ. د. عبد الرحيم بنحده جامعة محمد الخامس - المغرب

أ. د. فريدون أمه جان جامعة 29 مايس

أ. د. فيصل الكندري جامعة الكويت

أ. د. كلاوس كريسر جامعة مونيخ

أ. د. كوك خان جتين صايا رئيس مجلس التعليم العالي التركي

أ. د. ماجدة مخلوف جامعة عين شمس

أ. د. محمد باغريه جامعة طهران

أ. د. محمد عدنان البخيت الجامعة الأردنية

أ. د. محمد المرّ هيئة الثقافة والفنون، دبي

أ. د. مرورت أبو السيتوفا المعهد الأكاديمي الكازاخستاني

أ. د. مصطفى فايده جامعة مرمرة

أ. د. ميخائيل ماكسيم جامعة بخارست

أ. د. هيث لوري جامعة برينيستون

أ. د. وجيه كوثراني المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات - بيروت

أ. د. ويليام شيه جامعة بادوا

هـــــذه المجلة

مجلة إرسيكا مجلة علمية محكمة تصدر مرتين في السنة، في الخريف والربيع، وتنشر مقالاتٍ علمية باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية وهي اللغات الرسمية للمركز

يتخذ مكتب تحرير مجلة إرسيكا مقره من مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا) باستانبول

وتُعنى بمختلف جوانب الحضارة الإسلامية مثل تاريخ الثقافة والفنون والعلوم والأدب والحرف التقليدية والآثار. وتهدف إلى الحفاظ على التراث المادي (التراث المكتوب والمعماري والثقافي والفني وغير ذلك) وغير المادي للحضارة الإسلامية.

وترحب بوجهٍ خاص بالدراسات التي لم يتم نشرها في وقتٍ سابقٍ والتي تتناول جوانب الحضارة الإسلامية في مختلف مناطق العالم الإسلامي وخارجه، من البلقان والقوقاز وآسيا الوسطى والشرق الأوسط والمغارب وأفريقيا وآسيا الجنوبية وجنوب شرق آسيا.

وتطمح ان تستجيب بما يُنشر فيها من مقالات واسهامات فكرية لحاجات الباحثين المختصين في مجالات التاريخ والدراسات الثقافية وعلم الاجتماع والعمارة والعلاقات الدولية والأنثروبولوجيا.

Copyright@2013 by IRCICA

التصميم
محمد نور آنبارلي

التجليد والطباعة
Karist Baskı Çözümleri

ملاحظات عامة وشروط النشر

يجب أن تتسم البحوث المرسلة إلى المجلة بالأصالة والمنهجية العلمية ولم ترسل إلى أي مجلة أخرى غيرها.

وأن يتراوح عدد كلمات البحث بين 4-10 آلاف كلمة.

على الباحث أن يدرج قائمة مصادره ومراجعه في نهاية البحث.

ويرفق مع بحثه ملخصاً له لا يتجاوز 300 كلمة مع بيان 5 كلمات دالة لمضمونها.

ويرسل سيرة ذاتية مختصرة له لا تتجاوز 300 كلمة وتتضمن عنوانه ورقم تلفونه.

تؤول حقوق النشر للبحث المنشور في المجلة لإرسيكا.

لا يجوز استنساخ المجلة أو أيٍّ جزءٍ منها أو توزيعها بأي شكلٍ من الأشكال وبأيٍّ وسيلةٍ كانت، ولا يجوز تخزينها في قاعدة بياناتٍ أو نظام لاسترجاع المعلومات، دون سابق إذنٍ من الناشر إرسيكا. ويمكن طلب إذنٍ رسميٍّ من دائرة الأبحاث والنشر في إرسيكا.

لا تتحمل هيئة تحرير المجلة أو ناشرها إرسيكا مسؤولية الآراء والأفكار التي يعبَّر عنها أصحابها أو ناقدوها في مجلة إرسيكا.

تُرسل المقالات (MS Word) إلى العنوان الإلكتروني لإرسيكا (ircica@ircica.org)، أو العنوان البريدي:

IRCICA *Journal*, Barbaros Bulvarı, Yıldız Sarayı, Yaveran Binası,
Beşiktaş 34865 İstanbul

e-Mail: ircica@ircica.org

Tel: +90 212 259 1742 Fax: +90 212 258 43 65

لمزيد من المعلومات عن مجلة إرسيكا يُراجع الموقع الإلكتروني:

http: //www.ircica.org

في هذا العـــــدد

مقالات باللغة العربية

١٣

شَمْسُ الخَطِّ أحمد شمس الدين قَرَاحِصَاري و مُصْحَفُهُ

الأستاذ الدكتور محي الدين سرين

جامعة 29 مايو باستانبول

The Sun of Calligraphy Ahmed Şemseddin Karahisari and his Mushaf

Prof. Muhittin Serin

İstanbul 29 Mayıs University

٣٥

الترجمة اللاتينية الأولى لمعاني القرآن الكريم

الدكتور محمد سعيد الملاح

الامارات العربية المتحدة

The First Latin Translation of al Quran al Karim.

Dr. Mohammed Saeed al-Mallah

United Arab Emirates

٧٣

انتشار الإسلام في الأناضـــــول. دراسة تاريخية

أ. د. فاضل بيات

إرسيكا/ منظمة التعاون الاسلامي

Spread of Islam in Anatolia: A Historical Study

Prof. Fazıl Bayat

IRCICA

في هذا العـــــدد

مقالات باللغة الإنجليزية

13

Intellectual Life and the Mamluks

Cengiz Tomar, Assoc. Prof.
Marmara University, Faculty of Arts and Sciences, History Department/Researcher
IRCICA

الحياة الفكرية والمماليك

د. جنكيز طومار
جامعة مرمرة / إرسيكا

افتتاحية

يسعدنا كثيرا بمناسبة صدور العدد الرابع لمجلة إرسيكا أن نجدد لقاءنا بقرائنا وأحبابنا من أهل العلم والمعرفة وبكل من تجمعنا به صلة علمية وقرابة ثقافية. لقد كان إطلاق هذه المجلة قبل سنتين كمنتدى فكري دولي للنقاش والدراسات حول مختلف جوانب الحضارة الإسلامية بمثابة دافع لإرسيكا وتحدٍّ له بصفته الجهاز الثقافي لمنظمة التعاون الإسلامي. وإذ نستكمل مجلدها الثاني بنشر هذا العدد الرابع، فإننا جدّ سعداء بأن نرى أن مجلة إرسيكا قد أنجزت مهمتها وعززت مكانتها كمنصة أكاديمية مرموقة ومحترمة حيث يسع كبار الخبراء والمختصين الدوليين تقديم دراساتهم وتعريف المجتمع العلمي العالمي بمختلف جوانب التراث الإسلامي المادية وغير المادية.

وعلى غرار الأعداد الثلاثة الأولى، يضمّ هذا العدد مقالات علمية بالعربية والإنجليزية تعكس نطاقنا الجغرافي الواسع الذي يشمل البلقان، وآسيا الوسطى، والقوقاز، والشرق الأوسط، وشمال أفريقيا، وأفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، وجنوب آسيا. وكالعادة فقد حرصنا على الحفاظ على سلسلة الموضوعات التي تعكس الحضارة الإسلامية في شتى مظاهرها مثل تاريخ الفنون والعلوم والآداب والعمارة والحرف اليدوية وغيرها. وعليه، فإن العدد الرابع من مجلة إرسيكا يتضمن مقالا واحدا باللغة الإنجليزية وأربع مقالات باللغة العربية، وكلها من إعداد مؤلفين مشهورين وماهرين في مجالات عملهم.

أعدّ المقال الأول للمجلة بعنوان "المماليك والحياة الفكرية" الأستاذ المشارك جنكيز طومار، من جامعة مرمرة باستانبول. وهو مقال يبيِّن المواقف السلبية

للمؤرخين العرب في العصور الوسطى والحديثة من العصر المملوكي (1250-1517م)، وهي مواقف انتشرت على نطاق واسع في العالم العربي. وبالفعل يصف المؤرخون عهد المماليك بأنه عهد امتاز بالفوضى والظلم وتخللته حركات تمرد وصراعات من أجل السلطة، وكذلك عهد شهد تقهقر الأدب العربي والعلوم الإسلامية. غير أن هذه المواقف حسبما يرى المؤلف ترجع أساساً إلى تصورات المؤرخين وأفكارهم في تعاملهم مع المسألة وليس إلى الواقع نفسه. ولهذا فهو يحاول في هذا البحث أن يضع الأمور في نصابها من خلال دراسة الحياة الفكرية للعهد المملوكي ولاسيما السير الذاتية للمماليك الأمراء الواردة في كتب السير والتراجم والتي بالعكس تبين أن المماليك وذرياتهم قد لعبوا دورا فاعلا ومهما في ثقافة المناطق التي حكموها كأجانب.

المبحث الثاني للمجلة هو من إعداد الأستاذ الدكتور محي الدين سرين، من جامعة 29 مايو باستانبول، ويتناول (شمسُ الخط أحمد شمس الدين قَرَاحِصَاري ومُصحفُه"). فاستهل الكاتب مقاله بالحديث عن تطور خطوط المصاحف بدءاً من عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) حتى العهد العثماني مروراً بعهد الخلفاء الراشدين والعهد الأموي والعهد العباسي. وأوضح أن العهد العثماني هو العهد الذي شهدت فيه خطوط المصاحف مرحلة النضج حيث برز آلافُ الخطاطين العثمانيين الذين نذروا حياتهم لكتابة المصاحف وعملوا على تحسين خطوطها أمثال الشيخ حمد الله الأماسي (ت 926ه/1520م) الذي طوّر خط النسخ ووضع قواعد جمالية لفن الخط العثماني في الأقلام الستة والشيخ أحمد شمس الدين قَرَاحِصَاري (ت 963ه/1556م) المعروف بشمس الخط وهو موضوع هذا المقال. وتطرق المؤلف أيضاً في بحثه إلى مصحف الشيخ أحمد قراحصاري المحفوظ في مكتبة متحف سراي طوب قابي، وأوضح بأنه كتبه بتكليف من السلطان سليمان القانوني وأنه تحفة فنية رائعة ينمّ عن أوج الفنون الإسلامية في ظل الحضارة العثمانية. وقد قدّم الكاتب معلومات وافرة عن خصائص هذا المصحف من حيث خطه وتذهيبه وزخرفته.

ويتناول المقال الثالث، وهو من تأليف الدكتور محمد سعيد الملاح، من الإمارات العربية المتحدة، الترجمة اللاتينية الأولى لمعاني القرآن الكريم. وأوضح المؤلف فيه أن هذه الترجمة التي حملت عنوان Lex Mahumet pseudoprophete (قانون محمد النبي الدجال) والتي بدأت في طليطلة عام 1143م مع بداية حرب الاسترداد الإسبانية لم يكن الهدف منها تعريف القارئ بالقرآن الكريم وإنما كانت عملا عدائيا غايته تنفيره منه. وضمّ فريق الترجمة أربعة مترجمين من إنجلترا وألمانيا وإسبانيا وفرنسا وهم على الترتيب روبرت كِيتُّون، وهيرمان الدلماطي، وبطرس الطليطلي، وبطرس من يواتييه. ويشير الكاتب إلى أن هؤلاء المترجمين كانت لديهم خبرة في اللغتين العربية واللاتينية وخبرة في ترجمة كتب الطب والهندسة والفلسفة والفلك والرياضيات والنبات وغيرها من العربية إلى اللاتينية، ولهذا فلو قصدوا الأمانة والدقة لأتوا بترجمة لاتينية ممتازة ومطابقة للقرآن الكريم. كما كانت الكنيسة لا تتسامح البتة مع الترجمات الكاملة التي تنطلق من العربية أي من القرآن الكريم نفسه وكانت تغض الطرف عن الترجمات الجزئية والترجمات التي كانت تأخذ عن الترجمة اللاتينية الأولى نظرا لما تشكله من ثقافة معادية للإسلام.

ويتناول المقال الرابع، وهو من إعداد الأستاذ الدكتور فاضل بيات، من مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية التابع لمنظمة التعاون الإسلامي، موضوعاً بعنوان "انتشار الإسلام في الأناضول: دراسة تاريخية". وتعالج هذه الدراسة إحدى البيئات التي تشرفت بالإسلام وهي الأناضول (آسيا الصغرى). وهو موضوع لم يأخذ حقه المطلوب في البحث من قبل الباحثين العرب. وتتركز الدراسة حول الأوضاع العامة التي كانت سائدة في بلاد الأناضول قبل انضوائها تحت الحكم الاسلامي أي في العهد البيزنطي، والمحاولات العربية الإسلامية الأولى لنشر الإسلام فيها، وما آل إليه الأمر بعد فتح العرب المسلمين بلاد الشام، ثم الفتح السلجوقي للأناضول وما رافق ذلك من انتشار المسلمين فيها إثر معركة ملازكرد الخالدة، والتوسع الإسلامي فيها على حساب الدولة البيزنطية والحكومات الإسلامية المتعاقبة فيها، وموقف الحكام المسلمين من الأهالي،

ودور العثمانيين في استكمال الفتوحات، والتعايش بين المسلمين والأهالي غير المسلمين فيها، ودور هجرات الأتراك المسلمين والطرق الصوفية والدعاة في تعزيز الوجود الإسلامي فيها.

ومن الواضح جليّا من خلال ملخصات المقالات القيّمة التي قمنا بتعريفها حتى الآن أن هذا العدد والأعداد السابقة سوف تؤدي إلى نقاشات جديدة وسوف تمهِّد الطريق لبحوث جديدة أخرى حول تاريخ الإسلام وحضارته. ونحن سعداء بأن نلاحظ بأننا محافظون على المعايير الدولية العالية وعلى نشر بحوث مبتكَرة تلقي الضوء على التطور التاريخي للمسائل الثقافية في العالم الإسلامي في كل عدد جديد. ولهذا فإنه لمن دواعي الفخر والسرور أن يقدِّم إرسيكا للمجتمع العلمي العالمي العدد الرابع لمجلته العلمية.

الدكتور خالد أرن
مدير عام إرسيكا

شَمْسُ الخَطِّ أحمد شمس الدين قَرَاحِصَاري و مُصْحَفُهُ

الأستاذ الدكتور محي الدين سرين*

أولاً: القرآن الكريم (المصحف الشريف)[1]

«اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ» (الزمر، الآية 23).

القرآن الكريم هو كلام الله العزيز الذي أنزله على حبيبه محمد (صلى الله عليه وسلم)، وهو القول الفاصل بين الحق والباطل « تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا » (الفرقان، الآية 1)، وهو البيان والهدى « هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ » (آل عمران، الآية 138). كما قال تعالى: « قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ » (النحل، الآية 102). وهو كتابٌ كُتبت سوره وآياتُه على الرقاع بعناية فائقة وأحاسيس العبد المؤمن كما نزل بها الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتحت رقابته وإشرافه، ثم راح الصحابة يقرأونه ويستظهرونه. وقد وَصَلَنا بالشكل الذي أنزل به على الرسول الكريم من اللوح المحفوظ بغير أن يتعرض لأي تغيير أو تبديل، وهو كذلك الكتاب السماوي الوحيد الذي حافظ على تلك الخاصّية وسوف يظل محافظاً عليها حتى قيام الساعة بإذن الله.

---

* جامعة 29 مايو باستانبول

[1] ترجمه من التركية الدكتور صالح سعداوي (إرسيكا). وكانت هذه المقالة قد صدرت في كتيب مستقل بالعربية والتركية والإنجليزية بقصد التعريف بمصحف القراحصاري الذي أصدره مؤخراً «وقف الفنون التركية الكلاسيكية» تحت رعاية وحماية فخامة رئيس جمهورية تركيا السيد / رجب طيب أردوغان.

المصحف الشريف

أُطلقتْ كلمة مصحف على نص القرآن الكريم الذي تَشَكَّلَ من تجميع صفحات القرآن التي كتبها كتّاب الوحي في حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهناك إجماع على أن كلمة مصحف أطلقت على الصُّحف التي تضم سور القرآن في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) حتى صارت في مجلد بين دفتي كتاب.

خطوط المصاحف

كان النص القرآني قد أخذ شكله الأخير بعد القراءات الأخيرة (المقابلة التي كانت تجري، أو العرضة الأخيرة) في شهر رمضان بين النبي محمد صلى الله عليه وسلم وجبرائيل عليه السلام، وبعدها تجري كتابته على ذلك الترتيب ويستظهره الصحابة الكرام. وقد كُتبت سور وآياتُ الوحي الإلهي في عهد الرسول بخط كان يُعرف آنذاك بالمكي والمدني، وبأقلام الغاب أو البوص ومداد بني غامق فوق أسطح من الجلد المدبوغ في الغالب. ويذكر ابن النديم أن خط المصحف عُرف في البداية باسم المكي، ثم المدني، ثم البصري ومن بعدها الكوفي [2].

عهد الخلفاء الراشدين

لقد جُمعت أوراق المصحف على أيام خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، ثم تشكلت هيئة من الكتبة لاستنساخه عدة نسخ في عهد الخليفة عثمان بن عفان(رضي الله عنه) ضمن قواعد إملائية أقرتها تلك الهيئة، وكان ذلك على الرق ومداد بني غامق وخط عُرف بالمدني، وكانت الخطوط مقروءة وذات فخامة، وجميلة وغليظة.

---

[2] ابن النديم، الفهرست، (نشر: أيمن فؤاد سيد)، لندن 1430هـ/ 2009م، 1/1، ص 16؛
Muhittin Serin, *Hat sanatı ve meşhur hattatlar*, (محي الدين سرين، فن الخط ومشاهير الخطاطين), İstanbul 2010, s. 57.

وبينما كان الكتبةُ يقومون ابتداءاً من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلال القرن الهجري الأول بتطوير أصولٍ للكتابة البديعة تليق بكلام الله العزيز في إطار من العناية والدقة الفائقتين وغمرة الوجد الديني، كان علماء اللغة قد طوروا قواعد للإملاء تساعد على القراءة السهلة والصحيحة التي لا لحن فيها للقرآن الكريم مع ضبط نصوصه. وقد أمكن لقواعد كتابة المصاحف (آداب كتابة المصحف) التي وَضَعَها العلماءُ والكتبة بعد جهد عظيم وفي إطار من الدعم والحماية التي حظوا بها من الخلفاء وكذلك القيم الجمالية التي صاحبتها أن تنتقل إلى العهود التالية بحساسية عظيمة[3]. وإذا وضعنا في الاعتبار تمسك الصحابة والتابعين وإصرارهم في موضوع المحافظة على الخط والإملاء في المصاحف التي أمر الخليفة عثمان بن عفان بكتابتها (الرسم العثماني) وتطبيقها في كتابة المصاحف فإنه يمكن القول إن الأسلوب الرئيسي في خطوط المصاحف التي انتقلت من عهد عثمان قد استمرت حتى ذيوع الخط النسخي في القرن الرابع الهجري تحت اسم الخط الكوفي. ويُلاحظ خلال تلك المرحلة في المصاحف المكتوبة في العهد المبكر أن أشكال ونسب الأحرف فيها والمسافات بينها وإرسالها رأسية وأفقية كانت قد وُضِعَت ضمن قواعد معينة في نظام السطر، وأن الكتبة وهم يكتبون المصاحف ظلوا متمسكين بشدة بتلك القواعد الخطية التي تشكلت وبجمالية الخط الشكلية، مستخدمين فيها كل طاقاتهم الفنية. ولهذا السبب فقد تطور فن الخط وارتقى مبكراً وبشكل أسرع بالنظر إلى الفنون الإسلامية الأخرى.

العهد الأموي

كانت أعمال الشَّكل والنَّقْط التي جرت بقصد تجنب أخطاء الإعراب في تلاوة القرآن نحو أواخر القرن الهجري الأول (السابع الميلادي) والحيلولة دون كافة مظاهر اللحن في النص القرآني وضمان التلاوة الصحيحة والسلسة له قد جرت إلى جانب ذلك الارتقاء الذي ظهر في خطوط المصاحف وأصول الكتابة الجميلة. وقد أخذت الكتابة العربية شكلها الحالي مع نظامها الإملائي من خلال أعمال

3 Mehmet Emin Maşalı, "Mushaf", *DİA*, XXXI,242-244.

الشكل بالنقاط الحمراء المستديرة التي بدأها أبو الأسود الدؤلي (ت 69هـ/ 688م)، أما أعمال النقط التي كانت على شكل خطوط مائلة بعرض سن القلم على الأحرف بقصد التمييز بين الأحرف المتشابهة فقد قام بها نصر بن عاصم (ت 89هـ/ 707م) ويحيى بن يعمر (ت 89هـ/ 708م). ثم كان الخليل بن أحمد (ت 175هـ/ 791م) هو الذي قام باصلاح جذري في نظام الكتابة العربية والإملاء بعد أبي الأسود الدؤلي. إذ قام باستخدام حرف ألف صغير مائل لأجل حركة الفتح وحرف واو صغير لأجل حركة الضم وحرف ياء قصير لأجل حركة الكسر، وذلك بدلاً من نقاط الشكل المستديرة، فوضع لنا، ووضع بذلك نظاماً جديداً للشكل ما زلنا نستخدمه حتى اليوم[4]. وتضم متاحف ومكتبات العالم نماذج تُوَثِّق لنا تلك الإصلاحات في المصاحف الكوفية التي ظهرت في القرن الأول والثاني والثالث الهجري (السابع والثامن والتاسع الميلادي.

العهد العباسي

كان من الكتبة الذين كتبوا المصاحف في العهد العباسي المهدي الكوفي وخُشْنَام البصري اللذان عملا في بلاط هارون الرشيد، كما عُرف بذلك أيضاً شخص يدعى أبو حُرَي كان يكتب الخط الكوفي ببراعة[5]. أما ابن مقلة (ت 328هـ/ 940م) الذي يُعد نقطة تحول في فن الخط فقد استطاع هو وأخوه أبو عبد الله حسن بن علي (ت 338هـ/ 949م) أن يقوم بفرز الخطوط الموزونة (المستديرة)[6] ثم تصنيفها، و وَضْع المقاييس والقواعد الهندسية للأحرف، ومهّد الطريق لظهور الأقلام الستة (التوقيع والرقاع والمحقق والريحاني والثلث والنسخ). ويُروى أن ابن مقلة كتب مصحفين لكن أحداً منهما لم يصلنا.

---

4 أبو عمرو الداني، المحكم في نقط المصاحف (نشر عزة حسن)، دمشق 1379هـ/1960م، ص 1–10؛ محي الدين سرين، المصدر السابق، ص 68.

5 ابن النديم، الفهرست، ص 16.

6 الخطوط الموزونة: لقد ظهرت في العهد الأموي خطوط ذات سمات جد متعددة سُميت تبعاً لمجالات الاستخدام والموضوع وحجم القلم. وأُطلق عليها جميعاً اسم الخطوط الأصلية الموزونة.

وكان الورّاقون العاملون في المكتبات التي زاد ثراؤها في العهد العباسي بالتوازي مع حركة الترجمة والتأليف بوجه خاص قد عملوا على تحسين الخط الذي عُرف بالنسخي بين تلك الخطوط المنسوبة لاستخدامه في استنساخ المصاحف والكتب. وبعد ذلك تفرع الخط النسخي إلى فرعين هما الريحاني والنسخ، وساد استخدامهما في كتابة المصاحف، حتى أخذ الخط النسخي مكان الكوفي تماماً في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي). غير أن الخط الكوفي ظل مستخدماً لكتابة المصاحف في الشمال الإفريقي وفي الأندلس والمغرب باسم الكوفي المصاحفي الغربي والخط المغربي بما يناسب قراءة ورش، وباسم الكوفي المشرقي في إيران وشرقها[7]. أما ابن البواب (ت 413هـ/ 1022م) الذي يعتبر الخطاط الكبير الثاني في تاريخ الخط فقد تناول القواعد التي وضعها ابن مقلة في الأقلام الستة فأخضعها لنسب هندسية أكثر دقة ونجح في الارتقاء بأسلوبه. والمعروف أن ابن البواب كتب أربعة وستين مصحفاً، وأجمل نسخة وصلتنا من بينها وتأكدت نسبتها إليه هي النسخة التي تحمل تاريخ 391هـ (1001م) وتوجد محفوظة في دبلن (مكتبة تشستر بيتي، رقم 1431). وقد كُتب النص القرآني في هذا المصحف بالخط الريحاني الذي أخذ في اكتساب أسلوب جديد، وجاءت رؤس السور والمعلومات الإيضاحية لها بخط التوقيع. وحُددت نهايات الآيات بثلاث نقاط ذات لون أزرق، بينما وضع شكل للقطرة التي تمثل حرف الهاء الذي يقابل الرقم خمسة في حساب الجمل بعد كل خمس آيات. أما إشارة التعشير بعد كل عشر آيات فقد جاءت على شكل رصيعتين داخل السورة، وعلى الإطار الخارجي أحياناً[8].

ثم جاء ياقوت المستعصمي (ت 698هـ/ 1298م) الذي حدد الأقلام الستة بقواعدها التقليدية، واستطاع أن يبتدع اتجاهاً جديداً بالألف مصحف التي قيل إنه كتبها والطلاب الستة الذين نشأوا على يديه، وبلغت خطوط المحقق والريحاني في تلك المدرسة أجمل مقاييسها. وحتى ظهور مدرسة الخط العثمانية في القرن الخامس عشر حظيت كتابة المصاحف بالثراء والتنوع مع خطوط الثلث والنسخ وقبلهما المحقق والريحاني. وقد استمرت كتابة المصاحف على طريقة ياقوت، وقدمت

---

7 محي الدين سرين، المصدر السابق، ص 72.

8 محي الدين سرين، نفس المصدر، ص 74.

لنا أجمل نماذجها عند سلاجقة إيران وسلاجقة الأناضول والتيموريين وفي عهد المماليك وحتى ظهور العثمانيين[9]. ورغم تصدر خطوط المحقق والريحاني في تلك العهود فإن هناك العديد من النماذج التي تدلنا على أن خطي الثلث والنسخ كانا مستخدمين أيضاً في كتابة المصاحف. وكُتبت أسماء السور والعبارات التي توضح عدد الآيات ومكان النزول آنذاك بالخط الكوفي الزخرفي أو خط التوقيع بوجه عام. وهناك المصحف الشريف الذي كتبه عبد الرحمن بن أبي بكر (صاحب القلم الذهبي) بعد ابن البواب (مكتبة تشستر بيتي، CBL İS، رقم 1438) فقد جرى ترتيب النص القرآني في الصحيفة بحيث يأتي سطر بالمحقق ومن بعده أسطر قصيرة بالريحاني، ثم في الوسط خط المحقق، ثم أسطر قصيرة بالريحاني، ثم يأتي السطر الأخير بالمحقق. وهذا التنظيم قد بلغ مرحلة هي القمة في الوجد والذوق الفني باحتلال خطي الثلث والنسخ على طريقة ياقوت مكانهما في تركيب الصحيفة. ويعتبر المصحف الذي كتبه روزبهان محمد شيرازي والمحفوظ في مكتبة تشستر بيتي (CBL İS, no. 1558) والمؤرخ بأواخر القرن السادس عشر، وكذلك المصحف الشريف لأحمد قراحصاري آخر روّاد مدرسة ياقوت هما أجمل النماذج في ذلك الأسلوب من حيث الخط والتذهيب ونظام الصفحات.

المدرسة العثمانية

لقد دخلت خطوط المصاحف دور النضج في استانبول بعد القرن الخامس عشر، فمع دعوات السلطان محمد الفاتح للفنانين وأرباب الصنايع، والإمكانيات التي وَفّرها لهم اجتمعوا في استانبول وحملوا إلى هذه البلدة الطيبة خبراتهم وتجاربهم الثقافية التي امتلكوها. وعلى هذا النحو بدأت استانبول تتبوأ مكانتها كأحد المراكز الثقافية والفنية الجديدة في العالم الإسلامي بعد بغداد والقاهرة وهرات. وتلك الخطوات التي كانت تستشرف المستقبل في مجال الفنون قد مهدت الطريق للتجديد في كافة أفرع الفنون الإسلامية وابتكار الأساليب الجديدة فيها. وفي النهاية استطاع الشيخ حمد الله (ت 926هـ/ 1520م) الذي تربى على مدرسة الخط في أماسيا (غرب الأناضول) أن يضع القواعد الجمالية لفن الخط العثماني في

9 Nihad M.Çetin, "Yâkūt", İA, XIII, s.352-357.

الأقلام الستة باستانبول وتحت حماية السلطان بايزيد الثاني، وتحققت على يديه أهم التجديدات في كتابة المصاحف السبعة والعشرين التي كتبها وفي تصاميمها. وتحول خط النسخ بوجه خاص إلى خط سهل القراءة والكتابة، وهو ما أدى إلى تفضيله على الخطوط الأخرى في كتابة الكتب والمصاحف. وعلى هذا النحو سادت البساطة والاستمرارية واليسر في قراءة النص القرآني، وتخلى الناس عن ترتيب الصحيفة التي يُستخدم فيها المحقق والريحاني أو الأقلام الستة بشكل مختلط. إذ أصبح خط النسخ الذي طوّره الشيخ حمد الله هو الذي أقبل الناس عليه في العالم الإسلامي في كتابة المصاحف بدلاً من ذلك مع الإملاء الذي جرى تطويره بعد ذلك طبقاً لقراءة عاصم، واستقرت نظم الصفحات ومسافات السطور وأعدادها عند أجمل المقاييس. وعلى هذا النحو أُضْفيت على كتابة المصاحف في مدرسة الشيخ قيم جمالية فنية كالظرف والسلاسة وكتبت رؤوس السور والإضافات الأخرى بخط التوقيع، بينما كتبت عبارات الفراغ من الكتابة بخط الرقاع (أو خط الإجازة)، وتخلى الخطاطون عن التنوع الخطي الذي يطغى على النص القرآني وكذلك عن الغلو والإغراق في الزينات والزخارف نتيجة للغيرة الفنية عند صناعها[10].

وبعد الشيخ حمد الله ظهر الآلاف من الخطاطين العثمانيين الذين نذروا حياتهم لكتابة المصاحف حتى القرن العشرين، واستطاعوا من خلال الإمكانيات التي وَفَّرها لهم السلاطين وكبار رجالات الدولة الوصول بكتابة المصاحف إلى أعلى مراتبها حتى برزت تلك الحقيقة التاريخية التي تقول «إن القرآن الكريم نزل في أرض الحجاز، وقرئ في مصر، وكتب في استانبول» وتحولت إلى مثل يُضرب. وكان من بين الخطاطين الذين لا حصر لهم ممن عملوا على تحسين خطوط المصاحف على طريقة الشيخ حمد الله خطاطون بارزون، مثل درويش علي (ت 1084ه/1673م) الذي كتب أكثر من ستين مصحفاً[11]، ورمضان بن إسماعيل (ت 1091هـ/ 1680م) الذي كتب أربعمائة مصحف[12]، وصويولجي مصطفى

---

10 محي الدين سرين، نفس المصدر، ص 123-125.

11 محي الدين سرين، نفس المصدر، ص 152.

12 محي الدين سرين، نفس المصدر، ص 154.

أيوبي (ت 1097هـ/ 1686م) الذي كتب أكثر من خمسين مصحفاً[13]. وظهر الحافظ عثمان (ت 1110هـ/1698م)[14] الذي عُرف بالشيخ الثاني، واستطاع أن يضفي الحيوية والنسب الجمالية الجديدة على خط النسخ، وذاعت شهرته في شتى أنحاء العالم الإسلامي بعد أن كتب خمسة وعشرين مصحفاً وطُبع بعضها فيما بعد. وكان أول مصحف جرت طباعته في استانبول هو المصحف الذي كتبه الحافظ عثمان بما يوافق الإملاء الذي وضعه علي القارئ (ت 1288هـ/ 1871م). وبعد الحافظ عثمان ظهر من الخطاطين العثمانيين من اشتهروا بالمصاحف البديعة التي كتبوها، مثل: أغا قابيلي إسماعيل بن علي (ت 1118هـ/ 1706م)[15]، ويدي قوله لي سيد عبد الله (ت 1144هـ/ 1731م)[16]، وشكر زاده سيد محمد (ت 1166هـ/ 1753م)[17]، وأكري قابيلي محمد راسم (ت 1169هـ/ 1765م)[18]، وقاضي العسكر مصطفى عزت أفندي (ت 1293هـ/ 1876م)[19].

والمعروف أن ترتيب المصاحف «ذات الآيات التامّات»[20] كان من أكثر الأمور التي اهتم بها المسلمون وأقبلوا عليها، وكان انتشارها من خلال المصاحف التي كتبها

---

13 محي الدين سرين، نفس المصدر، ص 156.

14 محي الدين سرين، نفس المصدر، ص 158.

15 محي الدين سرين، نفس المصدر، ص 163.

16 محي الدين سرين، نفس المصدر، ص 167.

17 كانت نظارة المعارف في عهد السلطان عبد العزيز قد طبعت في سنة 1291هـ (1874م) سبعين نسخة من المصحف الذي كتبه الخطاط شكر زاده محاكاة لمصحف الشيخ حمد الله وذلك على ورق فاخر بقصد تقديمها هدايا لكبار رجال الدولة. والمعروف أن هذا المصحف هو المصحف الأول الذي جرت طباعته رسمياً عند العثمانيين (محي الدين سرين، المصدر السابق ص 175).

18 محي الدين سرين، نفس المصدر، ص 177.

19 محي الدين سرين، نفس المصدر، ص 195.

20 وهو أيضاً «مصحف الحفّاظ» الذي أطلق عليه المسلمون اسم مصحف الصحيفة التامة، إذ كان الساعون لحفظ القرآن يفضلون استخدامه، وكان يجري تنظيمه بحيث تستوعب الصحيفة 15 سطراً، وتبدأ كل صحيفة بآية كاملة جديدة وتنتهي أيضاً بآية كاملة، ولهذا السبب عرفت تلك المصاحف بمصاحف الآيات التامات.

بخط النسخ قايش زاده حافظ عثمان نوري (ت 1311هـ/ 1894م)[21] ووَصَلَنا العديدُ من طبعاتها. ثم ظهر أيضاً حسن رضا أفندي (ت 1338هـ/ 1920م)[22] الذي بلغ بخط النسخ قوامه الأجمل، واشتهر بمصاحفه التي كتبها بنظام «الآيات التامات». ولا زالت المصاحف التي كتبها بقصد الطباعة سبباً في مضاعفة الاهتمام به حتى في هذه الأيام نظراً لوضوحها وسهولة تلاوتها ونظام الآيات التامات الحاصل فيها وروعة خطها ووجود إشارات الإقراء في مواضعها المطلوبة.

وعدا الأنواع الستة المعروفة من الخطوط فقد كُتبت المصاحف ذات القيمة الفنية على الساحة الإيرانية (القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي) بخط التعليق (نستعليق) المعروف برقته بعد أن تطور وأصبح محط اهتمام الناس خلال فترة وجيزة.

وتوازياً مع الارتقاء الظاهر في خطوط المصاحف، دأبت الشعوب منذ العهود المبكرة، وبأسلوب خاص بالقرآن في المصاحف المخطوطة على تذهيب وزخرفة رؤس السور وعلامات الوقف وصفحات الظهر (ظهريه) والصدر (سر لوحه) والخاتمة مستخدمة في ذلك مداد الذهب والأصباغ الملونة بأساليب وطُرزٍ مختلفة كلٌ حسب نظرتِه وذوقه الفني.

وقد عبر الفنانون الذين صاغوا أذواقهم الفنية في المصاحف عن عمق إيمانهم ومشاعرهم الدينية فكانوا وهم يصنعون تلك الزخارف بالصبر والحب والبراعة يبدون وكأنهم خلعوا كسوة ذات زينة على كلمات اللّٰه سبحانه وتعالى، وقدموا لنا روائع الأعمال التي تبهر الناظرين وتوثق الدرجة التي بلغتها الحضارة الإسلامية والرقة الروحية التي هي عليها. وتوجد من بين تلك الأعمال مصاحف شريفة نادرة أمكنها الوصول إلى عصرنا وزماننا محفوظة في متاحف ومكتبات العالم وتجري زيارتها باهتمام وإعجاب عظيمين، إذ قام كثير من السلاطين والخلفاء ورجالات الدولة باستكتاب الخطاطين لها وتذهيبها وزخرفتها بعد صرف الأموال الطائلة

---

21 محي الدين سرين، نفس المصدر، ص 215.

22 محي الدين سرين، نفس المصدر، ص 237.

عليها. وتلك المصاحف إنما هي انعكاس للتفوق الديني والسياسي والثقافي من السلاطين - الذين وضعوا الفنانين تحت حمايتهم ورعايتهم - على فنون الكتاب. وعلى مدى التاريخ فقد انعكست القوة السياسية والتفوق الثقافي للخلفاء والسلاطين على مقاسات المصاحف التي جعلوا مشاهير الخطاطين يكتبونها وكذلك على زخرفتها وتجليدها. ويقوم الناس في عصرنا الحاضر وباهتمام وإعجاب عظيمين بزيارة المصاحف الشريفة المحفوظة والمعروضة في المتاحف والمكتبات باعتبارها روائع الفنون الإسلامية مثل مصحف أحمد قراحصاري الذي نقوم بتعريفه اليوم.

ثانياً: أحمد شمس الدين قَرَاحِصَاري (ت 963هـ/ 1556م)

هو أحد الخطاطين السبعة الكبار المعروفين بالأساتذة في بلاد الروم (أساتذة الروم: جلال الأماسي ومحي الدين الأماسي وعبد الله الأماسي والشيخ حمد الله ومصطفى دده وأحمد قراحصاري وبورسه لي شربتجي زاده إبراهيم أفندي)، وصار مدرسةً في الأقلام الستة ولا سيما الجلي والمشى[23]، وذاعت شهرته في العالم الإسلامي فَعُرف بشمس الخط في عهد السلطان سليمان القانوني، وفي عصره مدحه أحدهم ببيت يقول:

«إنه القراحصاري الذي شُرّف بخطه الحسن
وهو الذي بَيّض وجه الكتابة»

وكان فناناً منفرداً استطاع ببراعته أن يصل بأسلوب ياقوت إلى أرفع المراتب في القوام والتراكيب، وأن يؤثر على خطاطي العصور التالية ويبهرهم بفنه.

والمعتقد أن أحمد قراحصاري ولد في (أفيون قَرَاحِصَار) قبل سنة 875هـ (1470م)،

---

[23] الجلي هو الخط الكبير والغليظ ذو المظهر من الثلث أو التعليق بوجه عام، ويكون استخدامه في اللوحات والكتابات على الجدران. والجلي المشى هو شكل من الكتابة المستوية والمرصوصة أو المتداخلة للكلمات التي تكتب مثناة متقابلة إحداها من اليمين إلى اليسار والأخرى من اليسار إلى اليمين، كما يُعرف أيضاً بخط المرآة.

ولا توجد لدينا معلومات كافية حول نَسَبه ونشأته وتعليمه. والمعروف أنه في السنوات الأولى من حكم السلطان بايزيد الثاني توجه إلى استانبول من أجل تحصيل العلم وأقام فيها طوال حياته.

ويظهر من المعلومات الواردة في المصادر التاريخية وأعماله التي وصلتنا أنه تعلم العلوم الدينية والأدبية بمستوى جيد، وكان يجيد العربية والفارسية والتركية بالقدر الذي يمكنه من قرض الشعر بها ويفهم آدابها. وإلى جانب تحصيله للعلم فقد راح يتعلم الأقلام الستة على طريقة ياقوت المستعصمي من أسد الله كرماني وتخرج على يديه، واكتسب على تلك الساحة شهرة عظيمة، إذ عُرف بياقوت الروم. ويذكر مستقيم زاده أن يحيى الصوفي أحد خطاطي عهد الفاتح هو أستاذه الأول في الخط[24]، لكن ذلك غير صحيح، فقد يكون اطلع فقط على خطوط يحيى الصوفي ودرسها واستفاد منها. وعبارة الختام (كتبه)[25] التي يضعها القراحصاري تحت أعماله تشير دائماً إلى أن أسد الله كرماني هو أستاذه.

والمعروف أن أسد الله كرماني الذي هو أبرز روّاد مدرسة ياقوت المستعصمي في إيران كان قد جاء إلى استانبول في عهد السلطان الفاتح مع عدد من الفنانين ثم استقر فيها.

وكان القراحصاري قد انتسب إلى الشيخ جمال الدين إسحاق القرماني شيخ الطريقة الخَلْوتية الذي أخذ الخط عن الشيخ حمد الله، واستكمل آداب الطريقة على يديه ثم صار خليفة له.

وتوفي القراحصاري عام 963هـ (1556م) وكان عمره قد تجاوز التسعين عاماً، ودفن في مقبرة تكية الشيخ جمال الدين إسحاق القرماني في سُوتْليجة باستانبول.

---

[24] مستقيم زاده سليمان سعد الدين، تحفهء خطاطين (نشر ابن الأمين محمود كمال)، استانبول 1928م، ص 94.

[25] كلمة (كَتَبه) عند الترك تعني الموضع الذي تسجل فيه المعلومات الخاصة بالكتاب والمستنسخ والمؤلف في نهاية الكتاب المخطوط بوجه عام، فهي قيد الاستنساخ وقيد الفراغ وصحيفة الخاتمة.

وآنذاك أرّخ لوفاته هدائي مصطفى أفندي بمصراع من الشعر يقول «كچدى حيفا قره حصارئ پير» (963)، أي رحل وآسفاه قراحصاري الشيخ. وكان هو نفسه قد كتب شاهد قبره دون ذكر سنة الوفاة حتى كتبها من بعده الخطاط حسن چلبي ولده بالتبني. وموضع قبره ليس معلوماً اليوم.

وكان أحمد قراحصاري قد تمرس في مجال فن الخط على أيام السلطان بايزيد الثاني والسلطان سليم الأول، وبلغ فنه مرحلة النضج خلال السنوات الست والأربعين التي تربع فيها على سدة الحكم حامي حمى الإسلام وخليفة المسلمين السلطان سليمان القانوني. وعصر القانوني الذي بلغت فيه الدولة العثمانية قمة مجدها في السياسة والاقتصاد والحرب هو أيضاً عصر بلغ - في شعب الفنون الجميلة كالعمارة والشعر والموسيقى والخط والزخرفة أيضاً - مرحلته الكلاسيكية بفضل الحماية والدعم اللذين تواصلا من قبل البلاط حتى تحولا إلى تقليد وعادة مرعية. وهذا الإزدهار الحضاري الذي تحقق بفضل قوة الإيمان وعزيمة أمة إسلامية موحدة هو في الوقت نفسه حصيلة نتاج مشترك لسواعد العلماء والفنانين. ولا شك أن أحمد قراحصاري في وسط ذلك الجمع العظيم كان فناناً أثبت نجاحه في فن الخط الذي كان يمثله، تماماً كما نجح المعمار سنان في العمارة والشاعر باقي (عبد الباقي) في مجال الشعر. وفي الوقت الذي تجاوزت فيه الأقلام الستة - وخاصة خطوط الثلث والنسخ - أسلوب ياقوت من ناحية نظام السطر وجمال الأحرف في مدرسة الشيخ حمد الله أستاذ السلطان بايزيد الثاني، وظهور ذوق عثماني متميز، جاء أحمد قراحصاري بعد تعلمه الخط وراح يُحيى أسلوب ياقوت المستعصمي بأداء جديد.

كما اقتدى - في خطوط الجلي والمثنى - بخطوط يحيى الصوفي وعلي بن يحيى الصوفي من خطاطي عهد الفاتح، ووصل في بنية الحرف وفي التراكيب إلى تناغم أكثر جمالاً، وخرج علينا بالأسلوب الذي عُرف باسمه «أسلوب القراحصاري». وفي ذلك الأسلوب بلغت طريقة ياقوت أجمل قوام لها من خلال الشكل والنسب التي اكسبتها للحروف والكلمات ومن خلال التنظيم المختلف للصفحة. واستطاع القراحصاري بالتجديدات التي أبدعها أن يجمع حوله العديد من الفنانين، حتى ذاعت شهرته بينهم بلقب شمس الخط، وعُرف بين كبار أساتذة الخط

في الأناضول بياقوت الروم. وصارت تراكيب الثلث الجلي والمحقق والمثنى والمسلسل[26] التي أبدعها بمهارة ودقة فائقتين نماذج ممتازة يحاكيها الخطاطون الآخرون. وكان القراحصاري دائم البحث عن التراكيب والأشكال الجديدة، وكان - بكل دقة وحساسية فنان الزخرفة - يكتب الأحرف بمداد الذهب ثم يعود ويحرر أطرافها بالمداد الأسود، ويكتب الأحرف بمداد أسود ثم يعود ويحرر أطرافها بمداد الذهب، حتى أضفى على الخط بُعداً جمالياً مختلفا. وقد وَصَلَنا العديدُ من أعمال القراحصاري وهي خمسة مصاحف والأنعام[27(*)] ومجموع في الأدعية ومُرَقَّعَة[28(**)] كتبت بالأقلام الستة. وهناك خطوط قبة جامع السليمانية التي قيل إنه كتبها بالثلث الجلي، ثم قام الخطاط عبد الفتاح في زمن السلطان عبد المجيد بتجديدها على طريقة راقم. كما أن الآية الثالثة والسبعين من سورة الزمر في جامع پياله باشا والخطوط المكتوبة على مقبرة المعمار سنان وعلى سبيله منسوبة إلى القراحصاري.

ويُفهم من أقدم سجل لمعاشات أهل الحرف[29] في السراي والذي وَصَلَنا من زمن السلطان سليمان القانوني بتاريخ محرم وصفر وربيع الأول 952هـ (1545م) أن القراحصاري كان يعمل ضمن أهل الحرف في السراي وفي الترتيب السادس داخل بلوك الكتّاب بأجر يومي قدره 14 أقجة (4/TSMA, D. 9706). ولكن قلة وثائق الأرشيف تجعلنا غير قادرين على معرفة التاريخ الذي بدأ فيه تلك الوظيفة داخل السراي العثماني.

وتذكر لنا كتب الطبقات أن القراحصاري كان نموذجاً مجسماً لأخلاق

---

26 الخط المسلسل هو الشكل الذي تتصل فيه الحروف بين الكلمات لتظهر مثل سلسلة، ولا سيما في خط الثلث أو جلي الثلث.

27(*) المقصود هو سورة الأنعام التي يكتبها الخطاطون منفصلةً مع بعض الأدعية (المترجم).

28(**) المرقعة هي القطعة الخطية التي يكتبها الخطاط بنوع من الخطوط، ثم يلصقها ببعضها لتصبح مجموعاً يضم مرقعات في نوع من الخطوط، فهناك مرقعات الثلث ومرقعات النسخ وهكذا (المترجم).

29 أهل الحرف هم فريق الحرفيين وأرباب الصنايع الذين كانوا يعملون بأجر شهري ضمن بولكات مختلفة داخل السراي العثماني.

الصوفية، إذ اختار لنفسه حياة الزهد والتواضع والبساطة، وكان يقضي ليله ساجداً عابداً، وأنه كان طويل القامة مستنير الوجه، نظيف الملبس، وكان فناناً بارعاً أيضاً في الشعر والحياكة.

وكانت الطريقة التي أبدعها القراحصاري في الأقلام الستة قد تركت مكانها خلال قرن من الزمان لمدرسة الشيخ حمد الله، لكن تأثيره في خطوط الجلي والمثنى ظل قائماً يحاكيه الخطاطون حتى ظهور مصطفى راقم. وكان (يوسف دميرجي قولى) (ت 1020هـ/ 1611م) خطاط الخطوط الموجودة في جامع قيليج علي باشا في حي الطوبخانة باستانبول هو أشهر روّاد طريقة القراحصاري.

وكان حسن چلبي ولده بالتبني وأحد طلابه المعروفين (ت 1003هـ/ 1594م) خطاطاً شهيراً قدر شهرة أستاذه. فهو صاحب خطوط الجلي المنقوشة على الحجر والمرسومة على القاشاني في جامع السليمانية باستانبول وجامع سليمية بأدرنة. كما أن فرهاد باشا (ت 982هـ/ 1574م)، ودرويش محمد (أو درويش القراحصاري) (ت 1000هـ/ 1592م) خطاط النقوش التاريخية الموجودة على جسر (بيوك چكمجه)، والخطاط المعروف بالكاتب (ت 967هـ/ 1559م) ومحي الدين خليفة (ت 983هـ/ 1575م) هم أيضاً من أبرز تلامذة القراحصاري[30].

ثالثاً: مصحف أحمد قَرَاحِصَاري المحفوظ في مكتبة متحف سراي طوب قابي

اسم الخطاط : أحمد قراحصاري
تاريخ الكتابة : - - -
نوع الخط : المحقق والريحاني والثلث والنسخ والتوقيع

---

[30] عالي مصطفى أفندي، مناقب هنروران (نشر ابن الأمين محمود كمال)، استانبول 1926م، ص 25؛ نفس زاده إبراهيم، گلزار صواب (نشر كليسلي معلم رفعت)، استانبول 1938-1939م، ص 59-60؛ صويولجي زاده محمد نجيب، دوحة الكتّاب (نشر كليسلي معلم رفعت، استانبول 1942م، ص 9-10؛ حسين آيوانسرايى، حديقة الجوامع، استانبول 1281هـ، 17/1، 303-304؛
Ekrem Hakkı Ayverdi, *Fatih Devri Hattatları ve Hat Sanatı*, İstanbul 1953, s. 24; Muhittin Serin, a.g.e., s 138-143.

المقاسات : 61,5×42,5 سم
عدد الأوراق : 299
عدد الأسطر : 13
اسم المكتبة والرقم : مكتبة متحف سراي طوب قابي، دائرة البردة النبوية، رقم 5
اسم المُذَهّب : فنانو أهل الحرف في السراي

يُعرف هذا المصحف الشريف بأن أحمد قراحصاري كتبه بتكليف من السلطان سليمان القانوني، وهو تحفة فنية رائعة يكشف للعيان من خلال خطه وترتيبه وتذهيبه وتجليده وحجمه الكبير ما بلغته الفنون الإسلامية من نضج وعظمة في حضارة العثمانيين.

وهذا العمل الذي يجذب الإنسان من الأعماق ويبهره إنما هو تعبير عن الوجد العُلوي الذي يشعر به العبد تجاه خالقه وتجاه كلامه العزيز؛ وهو أيضاً تعبير عن إيمان وتقدير وقيم رفيعة. ورغم أنّ موضع عبارة الختام في نهاية المصحف قد تُرك خالياً إلاّ أن البراعة والقوة والتناغم والأسلوب ونظام الصحيفة وغير ذلك مما يبهر الإنسان ويخطف الأبصار في خطوطه إنما هي أمور تدلنا عند النظر إليها وبما لا يدع مجالاً لأي شك أن هذا المصحف رائعة من الروائع التي خطّها أحمد قراحصاري. كما نشهد عبارة قيد الوقف الموجودة على الورقة (آ/ب) التي تقول إن المصحف هو مصحف أحمد قراحصاري، وإنه كان محفوظاً داخل خزانة الخاصة السلطانية، ثم قام السلطان مصطفى الثاني في العاشر من جمادى الآخرة 1107هـ (16 يناير 1696م) بوقفه للقراءة داخل دائرة البردة النبوية الشريفة في القصر.

خصائص الخط

يوجد مصحف القراحصاري مسجلاً ضمن كتب دائرة البردة النبوية الشريفة في مكتبة متحف سراي طوب قابي، وهو في 299 ورقة من النوع المصقول (آهارلي) وذو وَصّالة (وَصْلَةٌ ورقية). ونشهد في وسط صحيفة الظهر (ظهريه) وعلى شكل دائري الآيات الخمس الأولى من سورة طه، وفيها الحروف مكتوبة بالمداد الذهبي وحُررت أطرافها بالمداد الأسود.

وفي صحيفتي الصدر (سَرْ لَوحه) بعد صحيفة «الظهرية» نشهد سورة الفاتحة ثم الآيات الأربع الأولى من سورة البقرة، وقد جاء سطر منها بالمحقق المشبع[31] (3,2 مم) وأربعة أسطر بالريحاني (1 مم) وسطر بالمحقق المشبع. وفي الورقة (3/ب) (4/آ) جاء سطر بالمحقق المشبع، ثم ثلاثة عشر سطراً بالنسخ داخل دائرة، وفي الأسفل سطر بالمحقق المشبع، وفي الورقة (4/ب) و (5/آ) جاء سطر بالثلث المشبع (3,2 مم) وثلاثة عشر سطراً بالريحاني ثم سطر بالثلث المشبع، وكلها في ترتيب بديع.

أما في الصفحات التالية من المصحف (ورق 5/ب – 299/آ) فنشهد الترتيب المعروف بترتيب ياقوت الذي تُستخدم فيه الأقلام الستة بشكل مختلف داخل الصحيفة، إذ نجد سطراً بالمحقق المشبع، وخمسة أسطر بالنسخ (1 مم)، وسطر بالثلث المشبع، وخمسة أسطر بالنسخ، ثم السطر الأخير بالمحقق المشبع. وقد جاءت مكتوبة بالمداد الأسود وبراعة عظيمة تمثل أجمل الصور التي بلغها أسلوب ياقوت في الخط. أما الإملاء فهو الإملاء (الرسم) المعتمد الذي عمل علماء اللغة العربية على تطويره وذاع انتشاره منذ أواخر القرن الهجري الأول لضبط وكتابة العربية دون أخطاء.

وجاءت مُخْطِرات[32] رؤس السور بخط التوقيع ومداد الذهب داخل إطار زخرفي. وهنا نلحظ أن سورة (المؤمنون) قد كتبت سهواً على شكل (المؤمن) مما يدل على أن المصحف لم يخضع للمراجعة من قبل علماء القراءات أو على يدي أحد الحُفَّاظ. ويبدو أن القراحصاري لم يستطع أن يكتب من مصحفه خلال السنوات العشر الأخيرة من عمره إلاّ 220 ورقة، و وُضِع المصحف الشريف بهذا النقص في الأوراق داخل خزانة الخاصة السلطانية حتى بدأت الكتابة فيه من جديد على أيام السلطان مراد الثالث عام 992هـ (1584م) وانتهت في عام 1587م. وتدلنا وثائق الأرشيف على أن أعمال الوَصَّالات (جمع وَصّالة) والجداول والزخرفة والتجليد قد انتهت بعد اثني عشر عاماً في سنة 1004هـ (1596م) دون نقص أو زيادة مع صرف

---

31 الخط المشبع (طوقجه) هو الشكل الأكثر غلظة من المقاسات الطبيعية للمحقق والثلث والتعليق (2,5 – 3 مم)، لكنه لا يحوز صفة الخط الجلي.

32 المُخْطِرة (مخطره) في المصطلح العثماني هي عبارة تأتي على رؤس السور أو في نهايتها لتذكرنا باسم السورة ومكان نزولها (مكية أو مدنية) وعدد الآيات التي تضمها.

نفقات تبلغ 1237 قطعة ذهبية و 45064 أقجة، وأن السلطان محمد الثالث أنعم على كل من شارك في العمل[33].

ورغم سكوت وثائق الأرشيف عن ذكر الاسم فإننا نعتقد أَنَّ مَنْ أخذ المصحف الشريف بهذه الحالة الناقصة هو حسن چلبي أقوى الروّاد في طريقة القراحصاري وتلميذه و ولده بالتبني حتى أكمله خلال السنوات الأخيرة من عمره بين عامي 1584–1587م حيث كان قد بلغ من الشيخوخة مبلغاً وفَقَدَ متانته. إذ نلاحظ ابتداءًا من الورقة 220 في المصحف أن الأوراق الباقية كتبت على يدي خطاط آخر.

خصائص التذهيب والزخرفة

هذا المصحف تحفة فنية أبدعتها جهود مشتركة ومتناغمة استمرت طويلاً على أيدي فريق من الفنانين والمُذهبين كالوَصّال[34] والطَّرّاح[35] ورسام الجداول (جدول كش)[36] وغيرهم ممن يعدون الأصباغ والبويات وذلك تحت إشراف ورقابة كبير النقاشين (سَرْ نقاش) داخل دار النقش (نقشخانه) في السراي العثماني. وقد جرى بنجاح كبير تطبيق أسلوب (قره محي) التقليدي في التذهيب والزخرفة. ومن دفتر محفوظ في أرشيف متحف سراي طوب قابي لمصروفات مصحف القراحصاري مؤرخ في 12 رمضان 992هـ (17 سبتمبر 1584م) و 25 رجب 1001هـ (27 إبريل 1593م) ويرجع إلى عهد السلطان مراد الثالث يظهر لنا أن أعمال الزخرفة والتجليد للمصحف المحفوظ في الخزانة السلطانية أيام سلطنة مراد الثالث أيضاً قد تواصلت، كما يُفهم من دفتر مصروفات آخر مؤرخ في 27 رمضان 1004هـ (25 مايو 1596م) يرجع إلى السنوات الأولى من عهد السلطان محمد الثالث، ومن

---

33 Rıfkı Melûl Meriç, *Türk Nakış Sanatı Tarihi Araştırmaları*, Ankara 1953, s. 58-68.

34 الوَصّال (وَصّال) هو الفنان المجلد الذي يقوم باستبعاد الأجزاء المكتوبة والمهترئة من صفحات الكتب المخطوطة ثم لصقها بورقة أخرى ويصلها طبقاً لأصلها.

35 الطرّاح هو الفنان الذي يقوم بتصميم وتخطيط ورسم الوحدات الزخرفية تبعاً لموضعها في فن الزخرفة.

36 رسام الجداول (جدول كش) هو الفنان الذي يقوم بتأطير النصوص في صفحات الكتب المخطوطة وتأطير لوحات الخط من خلال الخطوط الجميلة التي يضعها حولها بمداد الذهب أو المداد الأسود.

الإنعامات المقدمة للفنانين الذين شاركوا في تذهيب وزخرفة وتجليد المصحف أن العمل انتهى في تلك التواريخ، وأن الفنانين علي چلبي وجعفر أسطى والنقاش حسن والنقاش مصطفى كانوا أبرز مَنْ عملوا على تذهيب وتجليد المصحف.

وقد جرى تذهيب هذا المصحف بأسلوب كلاسيكي فيه من الرقة والجهد والدقة والثراء ما لم نشهد مثالاً له في الماضي، وجاءت صحيفة الظهر (ظهريه)[37] فيه على شكل رصيعة مستديرة. كما جرى في الزخارف التي غلب عليها الذهب واللازورد استخدام ألوان زخرفية متباينة.

واستطاع الفنان في صحيفتي الصدر (سَرْ لوحه) اللتين تحملان سورة الفاتحة والآيات الأولى من سورة البقرة أن يخرج علينا بتذهيب يغطي الأرضية (صِيوامه تذهيب)[38] يليق بكلام الله العزيز مستخدماً فيه كل طاقته الفنية وحبه وتذوقه ورقة مشاعره. كما أن الصحيفتين المتقابلتين اللتين تضمان خاتمة المصحف وسور الإخلاص والفلق والناس قد تم تذهيبهما بصورة رائعة وبالأسلوب الكلاسيكي على طريقة «طريق الغاب» (ساز يولى)[39].

وابتداءًا من الورقة (5/ب) حتى نهاية المصحف نشهد في كل صحيفة أربعة كراسي (قولتوق) على الجانبين جرت زخرفتهما بأشكال وألوان مختلفة. ورغم تشابه تلك الكراسي المتقابلة (التي يبلغ عددها 2360) في بعض المواضع هنا وهناك من حيث الشكل الزخرفي إلاّ أنها بتصاميمها وألوانها المختلفة تجعل جمال الخط هو العنصر البارز. ونلحظ بعد الورقة الثلاثين أن جودة التذهيب لم تشمل جميع أوراق المصحف، كما نشهد عدداً من الكراسي جاء تذهيبها على أيدي مذهبين مختلفين. وبعد الورقة (200/أ) نشهد وجوداً لأسلوب الخلكاري

---

37 صحيفة الظهر أو الظهرية (ظهريه) هي الوجه الأمامي للورقة المذهبة في الغالب والتي يبدأ منها النص الأصلي في المصاحف والكتب المخطوطة.

38 هي الزخارف التي تعمل فوق أرضية مغطاة بالذهب تماماً.

39 طريقة في الزخرفة تجري بمداد الذهب أو المداد الأسود على شكل زهور وأوراق فوق أفرع نبات الغاب الرفيعة الطويلة.

(خَلْكَارى)[40] أيضاً في تذهيب الكراسي، بينما نجد هناك بعد الورقة (230/ب) بعضاً من الكراسي لم يكتمل تذهيبها. أما إشارات الوقف التي زينت بالوحدات الزخرفية المختلفة من أسلوب البنج[41] فقد تكررت في كل صفحات المصحف. كما نرى ورود المصحف أي الوحدات الزخرفية المختلفة التي تشير إلى الحزب والعُشْر والجزء والسجدة وغيرها منتثرةً خارج النص وقد تباينت ألوانها وزادت ثراءًا. وجاءت ساحة كتابة النص القرآني مؤطرة بإطار ذهبي (5 مم)، وتم نثر حبات الذهب (زر أفشان) على الكتابة ابتداءًا من صحيفتي الصدر (سر لوحه) حتى الورقة (12).

وفي النهاية فقد اكتمل المصحف الشريف بغلافه الجلدي الأسود الذي صُبغت وحداته الزخرفية بمداد الذهب ثم جرى تلميعه، وبالشمسة[42] الظريفة، ثم بطرفيها (سالبك)[43]، وكذلك بالمِقْلَب (مقلب)[44] والذوق الرفيع[45]. وهكذا عندما يكون كلام الله العزيز بارزاً ومؤثراً في كل صفحات المصحف، ثم يكسوه الخط الحسن مع الزخرفة والتذهيب والغلاف في جو من التناغم نكون أمام عمل فني رائع يلمس شغاف القلوب.

حفظ اللهُ هذا الكنز الفني مصحف القراحصاري وحفظ الأسرار الإلهية الكامنة فيه قروناً طويلة أخرى!

---

40 الخلكاري هو أسلوب في الزخرفة والتذهيب يُعمل بالذهب وبشكل مظلل على الأطر الخارجية للمخطوطات ولوحات الخط بشكل عام.

41 الـ (بنج) وحدات زخرفية تصنع في الزينات من منظر الزهور في عين الطائر المحلق آخذة شكل أسلوب.

42 الشمسة رصيعة زخرفية على شكل الشمس تستخدم في الزخرفة والتجليد.

43 الـ (سالبك) هو الجزء الخارج أسفل الشمسة وأعلاها على الأغلفة ذات الشمسة.

44 المقلب (بكسر الميم وسكون القاف وفتح اللام) هو القسم ذو الشكل الخماسي (الأُذُنُ أو اللسان) الذي يزيد عن دفة الغلاف السفلى ويغطي طرف الكتاب.

45 M. Uğur Derman, *Doksandokuz İstanbul Mushafı*, İstanbul 2010, s 56-57; Filiz Çağman, "Ahmed Karahisari'ye Atfedilen Ünlü Kur'an-ı Kerim", 9. Milletlerarası Türk Sanatları Kongresi, *Bildiriler*, Ankara 1995, I, 521-527.

إن هذا المصحف الشريف الذي قمنا هنا بتعريفه واشتهر في العالم الإسلامي بمصحف القراحصاري قد قام على طباعته «وقف الفنون التركية الكلاسيكية» بعد جهود استمرت خمس سنوات وبدقة عالية فخرج كما نرى عظيماً وبحجمه الطبيعي صورةً طبق الأصل (2013م).

والمعروف أن مصحف القراحصاري كان قد طُبع قبل ذلك أيضاً من قبل وزارة الثقافة التركية (انقرة 2000م)، ولكن أصغر من حجمه الأصلي (48×33 سم)، وتعجلوا فيه، فقد تكسرت الأحرف أثناء الطباعة وانطمست نقاط البعض منها، وحُذفت مشيراتُ الصفحات (كلمة التعقيب أو التعقيبة المكتوبة بخط مائل أسفل يسار الصحيفة اليمنى)، وصبغت الأرضية بلون حمصي غير مناسب. وفي التذهيب ظهر ضعف الألوان والأشكال بينما بانت مظاهر الضعف والفشل في طباعة الأساليب الخطية. ورغم أن تلك الطبعة لهذا المصحف تكررت في سنة 2003م إلاّ أنّ الأخطاء السابقة ظلت على حالها.

وقد شهدتُ بنفسي مرحلة الطباعة التي مر بها هذا المصحف الذي نحن بصدد التعريف به، ورأيت عن كثب ما بذله المسئولون في «وقف الفنون التركية الكلاسيكية» من صبر وأناة وحب وإخلاص في العمل. فقد كانوا على وعي تام بما يحمله مصحف القراحصاري من المعاني الرفيعة بالنسبة للحضارة الإسلامية وثقافتها وفنونها، تماماً مثل جامع السليمانية الذي شيده المعمار سنان. فكلا العملين تجسيد وتعبير - على المستوى المادي - عن إيمان ومشاعر وفكر مشترك. ولهذا السبب بذلوا ما بوسعهم من دقة وعناية وحساسية عظيمة في أمر الطباعة وكافة المستلزمات الخاصة بالطباعة طبق الأصل للمصحف، ولم يبخلوا أبداً بأي تضحية مادية. ومصحف القراحصاري هو واحد من أغلى وأندر الأعمال التي يملكها سراي طوب قابي، ولهذا السبب تم تصوير المصحف في سنة 2009م بآلة مسح عالية التقنية جئ بها خصيصاً من ألمانيا، وجرت عملية المسح بأعلى درجات التشبع. وبعد ذلك المسح الناجح تواصل العمل على الكمبيوتر بشكل أكثر صعوبة وأطول زمناً، وفي بروفات الطباعة تم ضبط ألوان الورق والزخارف والخط والأشكال الزخرفية بالشكل الأقرب إلى الأصل حتى أصبح المصحف جاهزاً للطباعة. وتم استيراد الورق من إيطاليا (160 جم) لأجل الطباعة بالجودة والنسيج

الأقرب إلى الأصل. وفي أواخر سنة 2013م انتهت طباعة مصحف القراحصاري على أجمل وأتقن ما يكون، ثم انتهت أيضاً في أوائل عام 2014م عملية التجليد، وهكذا ظهرت وأعلنت للعالم كله تلك المستويات والقيم الفنية العالية للفنون الإسلامية في حضارة العثمانيين، وانفتح بها باب عظيم على الثقافة العثمانية وكنوزها الفنية.

وأمام عمل رائع يبهر الناظرين على هذا النحو لا يسعنا إلا أن نذكر بالرحمة والغفران السلطان سليمان القانوني خليفة المسلمين الشاعر والخطاط الذي أسبغ حمايته على القراحصاري وأتاح له كافة الإمكانيات، ونذكر السلطان مراد الثالث والسلطان محمد الثالث، ونذكر القراحصاري نفسه ذلك الرجل المبارك صاحب الخصال الملائكية، ونذكر ولده بالتبني الخطاط حسن چلبي، ونذكر مع هؤلاء جميع الفنانين المهرة الآخرين من المذهبين والمجلدين وكل من شاركوا بجهودهم وأَضْفوا على المصحف كل هذه الرقة وهذا الجمال، وذلك واجب وفاء.

وقفية السلطان مصطفى الثاني
حول المصحف الشريف خط القراحصاري

الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد فإن سلطاننا خليفة المسلمين... السلطان مصطفى خان ابن الغازي محمد خان لا أطفأ الله شموس دولته كان بعد أن اعتلى سدة الحكم بالخير واليمن في أدرنة المحروسة قد خرج في حرب على جيوش أردل والألمان، واستطاع بفضل الله أن يثأر من أعداء الدين في البر والبحر. وبعد تلك المعارك أيضاً عاد مظفراً إلى القسطنطينية مقام السلطنة، وبعد ذلك وفي هذا العام الميمون يوم الأحد العاشر من جمادى الآخرة (1696/1/16م) أشار بنظرته الفاحصة المباركة بوقف هذا المصحف الشريف الذي لا نظير له ولا مثيل والذي كتبه أوحد زمانه أحمد قراحصاري والمحفوظ في خزانة الغرفة الخاصة وقفاً صحيحاً شرعياً على أن تجري تلاوته في دائرة البردة النبوية. وتنفيذاً لفرمانه العالي فقد تم إدراج نص الوقفية هنا. فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ (صدق الله العظيم).

1- الحمد لله، بسملة، سورة اخلاص

2- دعاء

3- سورة الفاتحة

وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَإِنْ
كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ۝ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ
وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا
قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ
يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ
مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ
الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ
فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ كَيْفَ تَكْفُرُونَ
بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

4- سورة بقرة 20-28

5- سورة بقرة 40-52

6- سورة آل عمران 26-33

7- سورة تبت 2-5، سورة اخلاص، سورة الفلق 1

8- سورة الفلق 2-5، سور الناس

الترجمة اللاتينية الأولى لمعاني القرآن الكريم

الدكتور محمد سعيد الملاح*

تمهيد:

كانت اللغة اللاتينية هي اللغة الثانية التي ترجم إليها الغرب القرآن الكريم حيث ظلّت لغة العلم والأدب والدين في أوربا حتى القرن السابع عشر. وقد بدأت ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية في طليطلة عام 1143م مع بداية حرب الاسترداد الإسبانية، ولم يكن القصد منها تعريف القارئ بالقرآن الكريم بل كانت عملًا عدائيًا يقصد به تنفيره منه.

وقد قام «المُضَرَّبون» وهم المسيحيون الذين عاشوا في ظل الحكم الإسلامي في الأندلس، إضافة لمن بقي من المسلمين في الأندلس بإنجاز ترجمات كثيرة أكثر دقة. ثم بدأ الرهبان أنفسهم مع مرور الزمن محاولات لترجمة القرآن للتعرف عليه لغايات دينية وثقافية أو شخصية باعتبارهم الطليعة المثقفة في المجتمع، فكانت الكنيسة تغض الطرف عن الترجمات الجزئية، والترجمات التي تأخذ عن الترجمة اللاتينية الأولى، لكنها لم تكن تتسامح أبدًا مع الترجمات الكاملة التي تنطلق من العربية أي من القرآن الكريم مباشرة، أي أنها تمسكت بالترجمة الأولى وما شكلته من ثقافة معادية للإسلام ورموزه.

وعليه فقد صُودرت عدةُ ترجماتٍ لاتينية جيدة، بل وعوقب المترجم بالقتل في بعض الأحيان. ولم تفلت من هذا الحظر إلا ترجمة لودفيكو مارّاتشي بعد مرور 565

* الامارات العربية المتحدة.

عامًا فأصبحت أمًا ومرجعًا ودليلاً لما تلاها من ترجمات، وأسهمت في تصحيح النظرة الأوربية للقرآن الكريم، ولكن بعد أن تأصلت كراهية الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم في ثقافة أوروبا.

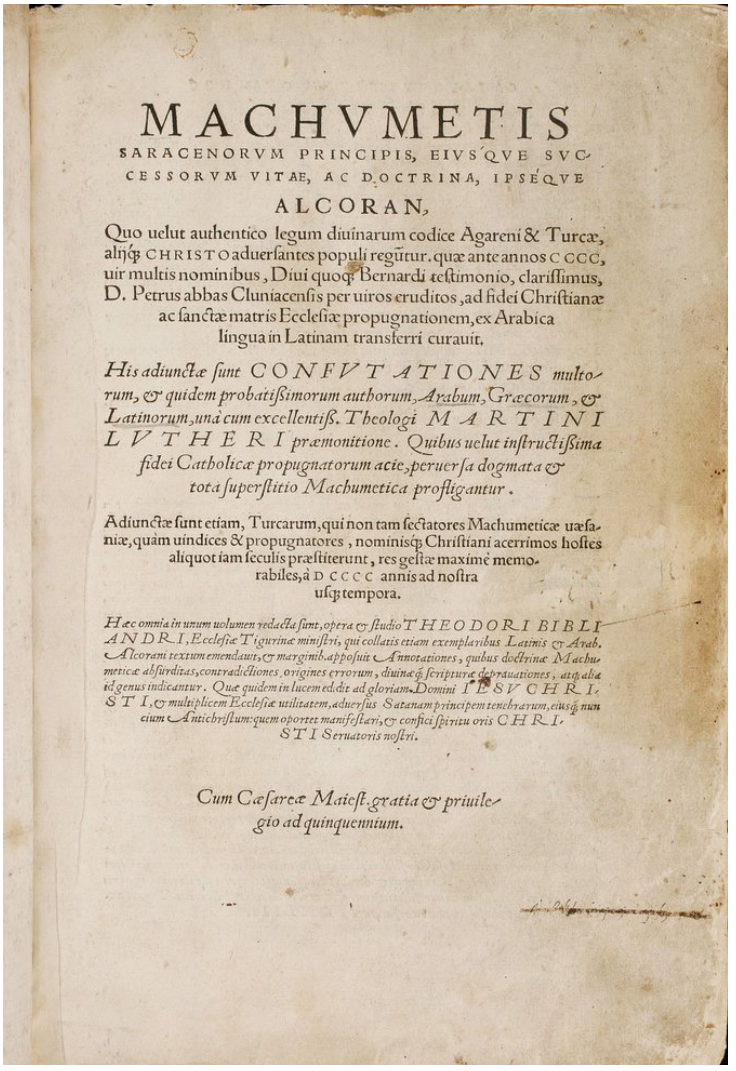

MACHVMETIS
SARACENORVM PRINCIPIS, EIVSQVE SVCCESSORVM VITAE, AC DOCTRINA, IPSEQVE
ALCORAN,

Quo uelut authentico legum diuinarum codice Agareni & Turcæ, aliq; CHRISTO aduersantes populi regũtur. quæ ante annos CCCC, uir multis nominibus, Diui quoq; Bernardi testimonio, clarissimus, D. Petrus abbas Cluniacensis per uiros eruditos, ad fidei Christianæ ac sanctæ matris Ecclesiæ propugnationem, ex Arabica lingua in Latinam transferri curauit.

His adiunctæ sunt CONFVTATIONES *multorum, & quidem probatissimorum authorum, Arabum, Græcorum, & Latinorum, una cum excellentiss. Theologi* MARTINI LVTHERI *præmonitione. Quibus uelut instructissima fidei Catholicæ propugnatorum acie, peruersa dogmata & tota superstitio Machumetica profligantur.*

Adiunctæ sunt etiam, Turcarum, qui non tam sectatores Machumeticæ uaesaniæ, quàm uindices & propugnatores, nominisq; Christiani acerrimos hostes aliquot iam seculis præstiterunt, res gestæ maximè memorabiles, à DCCCC annis ad nostra usq; tempora.

Hæc omnia in unum uolumen redacta sunt, opera & studio THEODORI BIBLIANDRI, *Ecclesiæ Tigurinæ ministri, qui collatis etiam exemplaribus Latinis & Arab. Alcorani textum emendauit, & marginib. apposuit Annotationes, quibus doctrinæ Machumeticæ absurditas, contradictiones, origines errorum, diuinæ & scripturæ depravationes, atq; alia id genus indicantur. Quæ quidem in lucem edidit ad gloriam Domini* IESV CHRISTI, *& multiplicem Ecclesiæ utilitatem, aduersus Satanam principem tenebrarum, eiusq; nuncium Antichristum: quem oportet manifestari, & confici spiritu oris* CHRISTI *Seruatoris nostri.*

Cum Cæsareæ Maiest. gratia & priuilegio ad quinquennium.

غلاف ترجمة القرآن الكريم اللاتينية الأولى التي طبعت عام 1542-1543م
عن مخطوطة لهذه الترجمة مكتوبة عام 1143

الظروف التاريخية التي أحاطت بهذه الترجمة:

بعد حوالي نصف قرن من بداية الحروب الصليبية، أدرك علماء اللاهوت النصارى أن المسلمين يُشكلون تهديدا عسكريًا وفكريًا للعالم المسيحي، وأن الصراع العسكري مع الإسلام لا يكفي وحده لإسقاطه وطمس معالمه، من هنا دعت الضرورة إلى معرفة مرتكزات الإسلام ومنطلقاته لهدمها وتشويهها. وهكذا بدأ اللجوء إلى استعمال سلاح الفكر والثقافة لتشويه صورة الإسلام. والغريب المضحك أن غالبيتهم كانوا يدّعون أنهم يأملون بتحويل المسلمين إلى المسيحية عبر ترجمة القرآن الكريم من لغته العربية إلى اللغة اللاتينية التي لا يفهما العرب! ولا أظنهم حمقى أو أغبياء حتى يقولوا ذلك بل إنهم كانوا يكتمون خوفهم من تحول النصارى للإسلام عبر التماس الذي توفره الحرب بين المتحاربين، فأرادوا بترجماتهم للقرآن خلق جو نفسي يبعد المسيحيين عن محاولة التعرّف على الإسلام.

وتواريخ الكنيسة المسيحية تؤكد أنه تمّ إعداد القساوسة والرهبان، ابتداءً من القرن العاشر الميلادي لمحاربة المسلمين بكل الوسائل. ولا ينبغي أن ننسى أن المستشرقين الأوائل، قد تربوا في الأديرة، وأن الحروب الصليبية كانت من العوامل الأساسية التي وجهت الأنظار إلى عالم الشرق لدراسته والتعرف على حقيقته»[1].

اسم هذه الترجمة، ومخطوطاتها الباقية:

عنوان الترجمة: «Lex Mahumet pseudoprophete» وتعني قانون محمد النبي المزيّف.

ورغم تضييق الكنيسة على تداول هذه المخطوطة وبقائها فترة طويلة ضمن مكتبة دير كلوني، فقد انتشرت، والدليل أن لدينا منها اليوم خمسة وعشرين نسخة منتشرة في مكتبات أوروبا، ومن هذه المخطوطات:

---

[1] عباس أرحيلة، ترجمة القرآن إلى اللاتينية انطلاقةٌ لحركة الاستشراق، .مجلة الدراسات والإعلام، رقم 278، 18 نوفمبر 1994، ص42 – 47.

http://rhilaabas.arabblogs.com/rhila49/archive/2008/4/522725.html .

- المخطوطة الموجودة في مكتبة الآرسنال في باريس ورقمها (MS 1162) وهي المخطوطة الأقدم، وكتابتها وزخرفتها إسبانية وتعود لمنتصف القرن الثاني عشر، وعنها نسخت باقي المخطوطات، وطبعات القرن السادس عشر[2]

- المخطوطات الموجودة في المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس: المخطوطات الكاملة هي المخطوطات رقم (MS Lat. 6064)، ورقم (MS Lat. 3390)، ورقم (MS Lat. 3391) ، ورقم (MS Lat. 3393) ورقم (MS Lat. 3668)، ورقم (MS Lat. 14503). أما المخطوطات غير الكاملة فهي رقم (MS Lat. 3392)، ورقم (MS Lat. 3669) ، ورقم (MS Lat. 3370)، في المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس.

والمخطوطة رقم (Vienna, Cod. 4815) في فيينا[3] والمخطوطة رقم: (MS F. V. 35) في المكتبة الجامعية الوطنية في تورين بإيطاليا: Biblioteca Nazionale Universitaria, Turin. وهناك مخطوطتان موجودتان في أكسفورد ببريطانيا.

وقد وفّرت ماري تيريز دالفيرني تفاصيل مهمة عن محتويات كل واحدة من هذه المخطوطات[4]، كما وفّر توماس بورمان دليلاً كاملاً عن المكتبات التي تحتفظ بمخطوطات الترجمات اللاتينية للقرآن الكريم[5].

طباعة ترجمة الترجمة اللاتينية الأولى 1543–1550:

حرّض القسيس الدكتور مارتن لوثر Martin Luther صاحب المذهب البروتستانتي(1483–1546م) على طبع ترجمة روبرت كيتون والمتب المرافقة بعد أن

---

2 David Thomas David Richard, Barbara Roggema Christian-Muslim Relations, *A Bibliographical History*. Volume 3 (1050-1200) p 511.

3 *World Bibliography of Translations of the Holy Qur'an in manuscript Form*, Mustafa Nejat Sefercioglu. IRCICA. İstanbul 2000, pp 93-98.

4 Marie-Thérèse d'Alverny, *Deux Traductions Latines du Coran au Moyen Age*, Variorum, Great Britain, Collected Studies Series CS445, 1994 pp 108-113.

5 Thomas E. Burman, *Reading the Qur'an in Latin Christendom 1140-1560*, University of Pennsylvania Press 2007, page 307.

وجد منها مخطوطة كاملة. وأضاف لها مقدمة عدائية. وعليه فقد تعاقد المستشرق والعالم اللغوي السويسري «تيودور بيبليياندر المولود باسم تيوي دور بوخمان The-odore Bibliander born Theodor Buchmann» مع العالم اللغوي والطبّاع «يوحنا أو يوهانِّس أوبورينوس Johannes Oporinus» في بازل بسويسرا على طبع «مجموعة طليطلة عن المذاهب والتقاليد الإسلامية». وقد أضاف لها تيودور بيبليياندر بدوره حواشيَ جديدةً وتفسيرات خاطئة تهتم أساسًا بالرد على الإسلام.[6]

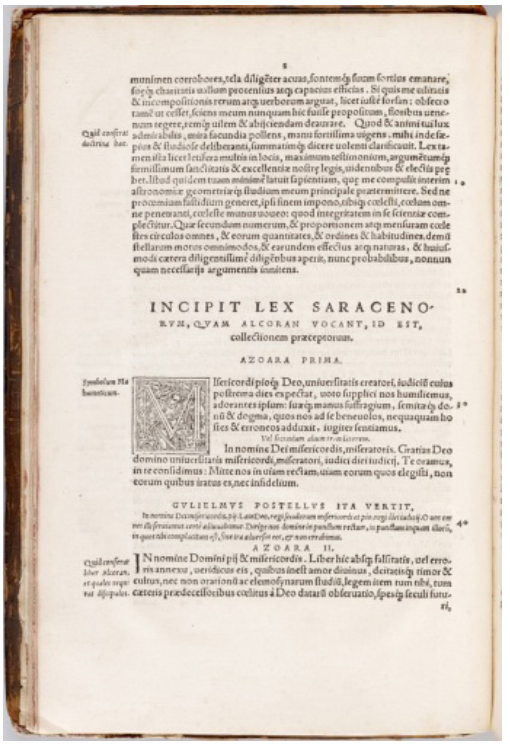

munimen corroboret, tela diligẽter acuat, fontemq; suum fortius emanare, sitq; charitatis uallum procerius atq; capacius efficiat. Si quis me uiuentis & incompositionis rerum atq; uerborum arguat, licet iuste forsan; obsecro tamẽ ut celet, sciens meum nunquam hic fuisse propositum, sinibus uetemum tegere, remq; uilem & abiiciendam deaurare. Quod & animi tui lux admirabilis, mira facundia pollens, manus fortissima uigens: mihi indefessus & studiosè deliberanti, summatimq; dicere uolenti clarificauit. Lex tamen ista licet tetifera multis in locis, maximum testimonium, argumẽtumq; simillimum sanctitatis & excellentiæ nostræ legis, uidentibus & electis perhibet. Illud quidem tuam minimẽ latuit sapientiam, quę me compulit interim, astronomiæ geometriæq; studium meum principale prætermittere. Sed ne procemium fastidium generet, ipsi finem impono, tibiq; cœlesti, cœlum omne penetranti, cœlestę manus uouero: quod integritatem in se scientiæ complectitur. Quæ secundum numerum, & proportionem atq; mensuram cœlestes circulos omnes, & eorum quantitates, & ordines & habitudines, demũ stellarum motus omnimodos, & earundem effectus atq; naturas, & huiusmodi cætera diligentissimẽ diligẽtibus aperit, nunc probabilibus, nonnunquam necessariis argumentis innitens.

INCIPIT LEX SARACENORVM, QVAM ALCORAN VOCANT, ID EST, collectionem præceptorum.

AZOARA PRIMA.

Misericordi pioq; Deo, uniuersitatis creatori, iudicii eius potissimum dies expectat, uoto supplici nos humiliemus, adeamusq; ipsum: fiatq; manus suffragium, fenitaq; omnium & dogma, quos nos ad se beneuolos, nequaquam hostes & erroneos adduxit, iugiter fentiamus.

In nomine Dei misericordis, miseratoris. Gratias Deo domino uniuersitatis misericordi, miseratori, iudici diei iudicij. Te oramus, in te confidimus: Mitte nos in uiam rectam, uiam eorum quos elegisti, non eorum quibus iratus es, nec infidelium.

GVLIELMVS POSTELLVS ITA VERTIT.

In nomine Domini misericordis, pij: Laus Deo, regi fœlicium misericordi et pio regi diei iudicij. O uos ergo fœlicissimum cœtui alleuiationis. Dirige nos domine in puncto rectum, in puncto impium illorum, ex quorum nobis complacitum est, sine ira alterius eos, et non errabimus.

AZOARA II.

IN nomine Domini pij & misericordis. Liber hic absq; falsitatis, uel erroris annexu, ueridicus eis, quibus inest amor diuinus, deitatiq; timor & cultus, nec non orationũ ac elemosynarum studiũ, legem item tum nibi, tum cæteris præcessoribus cœlitus à Deo datarũ obseruatio, spesq; seculi futu-

Machumetis Saracenorum principis eiusque successorum vitæ, ac doctrina, ipseque Alcoran. Tr. from the Arabic by Robert of Ketton (fl. 1141-1157) et al., ed. Theodor Bibliander (ca. 1504-1564).

2d ed., 3 parts in 1 vol., Basle, 1550, 1: 8.

[6] https://exhibitions.cul.columbia.edu/archive/fullsize/8e0a310e7d430e41a86b592787270402.jpg

هذه هي الصفحة 39 من «قرآن بازل» حيث تبدأ بترجمة سورة الفاتحة، تليها سورة البقرة.

وقد شغلت مقدمة مارتن لوثر، وبيبلياندر الصفحات السابقة كلها

وسلم مارتن لوثر هذه الترجمة إلى بيبلياندر لطبعها على وجه السرعة ودون علم السلطات. لكن الأخبار انتشرت قبل اكتمال الطبع، فصودرت الطبعة واعتقل الطباع. وبعد مفاوضات مطولة شملت الإصلاحيين مارتن لوثر و«ميلانشتون "Melanchthon" وسلطات زيوريخ وستراسبوغ ومجلس مدينة بازل، تم الاتفاق على السماح بهذه الطبعة بشرط ألا يظهر اسم مدينة بازل أو أوبورينوس Oporinus على صفحة الغلاف، وأن تباع في فينتبرغ Wintenburg واشتُرِطَ أن تكون مُصدّرة بمقدمة لمارتن لوثر[7] وكثيرًا ما يشار لهذه الترجمة بـ "قرآن بازل". وقد أعيدت طباعتها أربع مرات في بازل وزيوريخ بين عامي 1543 و1550م[8]. ثم وضعها البابا بول الرابع على قائمة الكتب المنوعة "Librorum Pohibitorum»[9].

أهمية هذه الترجمة:

وسوف أعير هذه الترجمة اهتمامًا كبيرًا وأتوسع في دراستها لأنها كانت «الحدث الأهم في التاريخ الفكري لأوروبا خلال الألف سنة الماضية» كما وصفها أحد العلماء الغربيين. وكانت الشرارة التي فجّرت كمًا هائلًا من الترجمات في شتى اللغات الأوربية، وهي تتراوح بين الإسفاف والقدح الشديد في الإسلام وتحريف الكلم عن مواضعه وبين المواربة ودق الأسافين وإثارة الشبهات.

---

7 Jeremy Norman, From Caves Painting to Internet. http://www.historyofinformation.com/index.php

8 محمد مهر علي، ترجمة معاني القرآن الكريم والمستشرقين – لمحات تاريخية وتحليلية.

9 Hartmut Bobzin and August den Hollander. *Early Printed Qur'ans: The Dissemination of the Qur'an in the West*. Editors Leiden: IDC Publishers, 2004.

وقد أجرى الباحث الإسباني «أوسكار دي لاكروث بالما Oscar de la Cruz Palma»[10] دراسة عن «أهمية الترجمة اللاتينية الأولى للقرآن» صدرت عن الجامعة المستقلة في برشلونة، وخرج في نهايتها بقوله:

«إن إحصاء الأعمال التي أثرت فيها الترجمة اللاتينية الأولى بشكل مباشر أو غير مباشر إضافة إلى المعلومات حول العالم الإسلامي التي صاحبتها في المجموعة الإسلامية والتي جُمعت بطلب من أسقف دير كلوني بطرس المبجل، هو الدليل على كيفية استمرار أفكار القرون الوسطى حول الإسلام وحول «محمد» مضطربة في الثقافة الأوربية إلى المرحلة الحديثة».

«وعلى الرغم من أن المعارف حول الآخر ازدادت عمقًا مع الزمن، فإن نجاح ترجمة كيتون التي اشتملت على العديد من الأحكام المسبقة عن الإسلام تبرز أن الخطاب المعادي للإسلام تأسس في كثير من المناسبات على معلومات موجهة - وبدون مبالغة - إلى هدم العدو المسلم».

وبعد أن ذكرَ أن هذه الترجمة كانت مصدرًا معتمدًا للقرآن في العالم الغربي في القرون الوسطى، حيث أعيدت طباعتها عام 1543 كاملة في بازل أو زيورخ من قبل "تيودور بيبليياندر Bibliander Theodor and abridged by Johann Albrecht Widmannstetter." ثم مختصرة بواسطة "يوهان ألبرشت فيدمان شتيتير Widmannstetter Johann Albrecht"، بيَّن أنها In 1547 it was adapted into Ita تُرجِمت للغات الأوربية المختلفة، وهي الإيطالية والهولندية والألمانية والفرنسية والروسية، خمسًا وعشرين ترجمة، وقُدّمت للقارئ باعتبارها ترجمات للقرآن الكريم. بيد أنها لم تكن إلا ترجمةً للترجمةِ اللاتينية. بل ادعى غالبية المترجمين كذبًا بأنهم يترجمون عن النص العربي للقرآن الكريم وهم ما كانوا يعرفون العربية أصلاً. كما سرد «دي لا كروث بالما» أربعًا وعشرين كاتبًا غربيًا فيما بين القرن الثالث عشر والثامن عشر استقوا معلوماتهم، وبنوا

---

[10] أوسكار دي لا كروث بالما، أهمية الترجمة اللاتينية الأولى للقرآن (روبيرت كتون 1142-1143)، ترجمة عبد العزيز شهبر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي. تطوان، يناير 2010.

كتاباتهم عن الإسلام، من هذه الترجمة نفسها. فيتضح من ذلك أن هذه الترجمة قد هيمنت على العقل الأوربي، بحيث لم يستطع أحد في أوربا بعدها أن يصدر ترجمة للقرآن بدون مقدمة طويلة يهاجم فيها القرآن الكريم ويتبرأ مما فيه، ثم يهاجم نبي الإسلام وينعته بالكذب والتزييف وما شاء من الشتائم الأخرى، وبقيت هذه الترجمة تلقي بظلالها على العقل الأوربي حتى اليوم.

وفي ختام دراسته يقول أوسكار دي لا كروث بالما: «إن الدراسة التي قدمناها عن أهمية ترجمة كيتّون، وإن كنا نعلم أنها ليست شاملة وأنها قابلة للتطوير، لدليل على كيفية استمرار فكرة سلبية عن الإسلام بين علماء أوربا الغربية. ورغم أن ترجمة كيتّون والمجموع الإسلامي (المجموعة الطليطلية) لم يكونا المصدرين الوحيدين للمعلومة، فقد أضافا مجموعة واسعة من الخرافات والحكايات عن حياة محمد في اعتقادنا». «وقد راكمت هذه الترجمة الأولى - لكنها ليست الأفضل بأي حال من الأحوال- تقليد المخطوطة القوية التي تدوم طويلًا وتطغى وتغلب لوقت طويل على إصدارات تالية أكثر عناية ودقة[11]"

ويضيف «بالما» «إن ترجمات القرآن اللاتينية اللاحقة قد حظيت بدقة أكبر لكنها لاقت انتشارًا أضعف، مثل ترجمة ماركوس دي طوليدو في بداية القرن الثالث عشر وتلك الترجمات الصادرة بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر. ومع ذلك فإن المنافسة بين اللاتينية واللغات الأوربية الجديدة مكنت من ميلاد ترجمات مثل الترجمات القديمة المتصلبة. وفي ذلك التاريخ، وبفضل النجاح الكبير للمجموعة التي نشرها بيبليياندر استمرت أفكار القرون الوسطى عن النبي والإسلام بين العلماء الأوربيين في حين لم تتمكن الترجمات الجيدة الجديدة من الانتشار بين الجماهير الواسعة».

وفي نفس السياق قال آنطوني بيم رئيس جمعية دراسات الترجمة في أوربا، عن أهمية هذه الترجمة اللاتينية الأولى: "ومهما حدث في شمال إسبانيا عام 1142م

---

11 *Translatio, disputatio and the first Latin Qur'an*, Anthony Pym. Published as "The First Latin Qur'an, Disputation, and the Second Person of a Translation", (= Koiné 5-6). 1995-96, 173-183.

فقد شكل ذلك "الصورة الأوربية" للقرآن لنحو أربعة قرون. وكان هذا انعكاسًا للدعم المادي الذي جعل مثل هذا الأمر ممكنًا[12]" ومثله قال توماس بورمان أستاذ التاريخ بجامعة تينيسي: "حينما قرأ المسيحيون الأوربيون القرآن الكريم في أي وقت ما بين منتصف القرن الثاني عشر، وحتى أواخر القرن السابع عشر، فقد قرؤوا غالبًا ترجمة روبرت كيتون [13]"

رحلة إلى إسبانيا:

في عام 1141م قصد القسيس «بطرس المبجَّل Pierre le Vénérable» رئيس رهبانية دير كلونيAbbé de Cluny « مدينة طليطلة Toledo التي كانت قد سقطت بيد النصارى عام 1085م ونشأت فيها حركة ترجمة واسعة للتراث العلمي العربي إلى اللغة اللاتينية، واشتملت على مدرسة تُخرِّج المترجمين لهذا الغرض، وقد حدد الغاية من زيارته لطليطلة بأنها: «للعثور على خبراء في اللغة العربية، هذه اللغة التي سمحت لهذا السم القاتل أن يغزو أكثر من نصف العالم. ولقد أقنعتُهم بقوة الصلاة وبقوة المال أن يترجموا من العربية إلى اللاتينية تاريخ وعقيدة هذا التعيس وقانونه الذي يدعونه بالقرآن، وقد استخرج هذا الفريق بعد البحث بدقة في مكتبات هذا الشعب البربري، كتابا كبيرًا سوف ينشر لقراء اللاتينية». وقد أُطلق على ترجمة القرآن هذه والتي أخرجت عام 1143م تسمية «ديانة محمد النبي المزيّف Lex Mahumet Pseudoprophete" ، كما أطلق على مجموعة الكتب المترجمة كلها تسمية «المجموعة الطليطلية Corpus Toletanum".

أهداف زيارة بطرس المبجل لإسبانيا:

يقول كلٌ من حسن معايرجي وآنطوني بيم وجيمس كيرتزيك: إن دوافع بطرس المبجل وراء زيارته إسبانيا كانت اقتصادية بالدرجة الأولى. "حيث إن دير كلوني

---

12 *Translatio, disputatio and the first Latin Qur'an*, Anthony Pym. Published as "The First Latin Qur'an, Disputation, and the Second Person of a Translation", (= Koiné 5-6). 1995-96, 173-183.

13 Thomas E. Burman, *Reading the Qur'an in Latin Christendom 1140-1560*,University of Pennsylvania Press 2007 Page 15

كان له النفوذ الأكبر وراء غزو أراضي المسلمين في إسبانيا ، لذلك طالب بطرس المبجل بحصة من الأرباح، حيث إن ألفونسو السابع ملك قشتالة لم يدفع له الحصة أو الجزية التي وعد بها جده وتبلغ ألف مثقالٍ ذهبًا سنويًا ، ومن هنا جاءت هذه الزيارة والتي نجحت بشكل معقول من الناحيةٍ الاقتصادية ، بالنظر إلى أنه وُعِدَ بحصة من أرباح حمامات بورغوس (كيرتزك 1964م، وكان ذلك بدون شك مالا مغسولا جيدًا[14]. كما يضيف حسن معايرجي أن "ألفونسو قد أقطعه أيضًا كنيسة القديس بدرو دي كارينا – بجوار بوجوز- مع أملاك أخرى، بالإضافة إلى العوائد الملكية التي كان يحصلها من حمامات البلدة العامة[15].

«"إضافة لذلك، فقد كان بطرس المبجل يريد شيئًا أكثر من الذهب من أراضي المسلمين السابقة. فقد أراد أن يشارك القلم إلى جانب السيف في حرب المسلمين. ولكن إذا كان الهدف المعلن للترجمة هو في الواقع تحويل الكفار إلى المسيحية، فلماذا كان على رئيس دير كلوني أن يترجم القرآن إلى اللاتينية بدلا من أن يترجم الإنجيل إلى اللغة العربية؟ ويحاول "آنطوني بيم Antony Pim" أن يجيب على هذا السؤال في بحث له بعنوان "الجدل، والرفض، الترجمة اللاتينية الأولى للقرآن الكريم" من خلال استعراضه لثلاثة أنواع من الممارسات التي انتقلت من العرب إلى العالم اللاتيني: صنع الورق، والمناظرة كوسيلة للتواصل بين الثقافات، والملاحظة (أو المراقبة) كوسيلة لإنتاج المعرفة العلمية"[16].

---

[14] Translatio, disputatio and the first Latin Qur'an, Anthony Pym. Published as "The First Latin Qur'an, Disputation, and the Second Person of a Translation", (= Koiné 5-6). 1995-96, 173-183.

http://usuaris.tinet.cat/apym/on-line/translation/1995_Qur'an_preprint.pdf

[15] حسن معايرجي، الهيئة العالمية للقرآن الكريم، مطبعة الدوحة الحديثة، الدوحة قطر ص 37.

[16] Translatio, disputatio and the first Latin Qur'an, Anthony Pym. Published as "The First Latin Qur'an, Disputation, and the Second Person of a Translation", (= Koiné 5-6). 1995-96, 173-183.

وقد أتيت بترجمة لهذا البحث كملحق في نهاية هذا الفصل

«دير كلوني Cluny»:

«هو من أهم الأديرة التي انطلقت منها محاولات الإصلاح الديني الحقيقي في أوربا وقد تأسس عام 910م في فرنسا في مقاطعة «بورغوندي Burgundy»، وكان لعائلة «مونت بواسيه» الفضل في إنشائه والسهر على شؤونه المالية والإدارية، وقد تقلد أفراد هذه العائلة رئاسة الدير بطريقة وراثية. وسرعان ما اشتهر وانتشرت أديرته في غرب أوروبا انتشارًا واسعاً، حتى إن كثيراً من الأديرة البندكتية المعروفة في كل من فرنسا وألمانيا تركت نظمها التي أصابها الفساد لتكون ضمن سلسلة أديرة كلوني وتحت رئاستها. وقد قام دير كلوني بدور أساسي في التحريض على الحروب الصليبية، كما لعب دورًا فعالاً في مواصلة الحروب ضد المسلمين في إسبانيا. وخطورة دير كلوني تتمثل في اتصاله المباشر بالبابا، وقيامه بإصلاح الجهاز الكَنَسي البابوي من المَفاسد، وإيصاله عددًا من رهبانه إلى سدّة البابوية»[17].

بطرس المبجّل:

هو «بيير موريس دو مون بواسّيه Pierre Maurice De Montboisee» المشهور باسماء «بطرس المبجّل» و«بطرس المحترم» و «بطرس الناسك»، وهو راهب ولاهوتي فرنسي ولد حوالي 1093م في «أوفرنْيْ Avergne» بوسط فرنسا. كان مكرسًا لله عند الولادة، وجّهه أهله لحياة الرهبنة، وقد نُشِّئ في دير قريب من سوكسيلانج Sauxilanges تابع لدير كلوني Cluny. وقُبِلَ في سلك الرهبنة على يد «القديس هوج Saint Hugues» في 1109م وعمره ست سنوات، والتحق بدير «فيزليه Veze-lay» وأقام فيه عشر سنوات. ثم صار في 1120م رئيسًا لدير في دومين Domene (بالقرب من غرينوبل، في جنوب شرقي فرنسا). وفي 22 أغسطس آب 1122م، صار رئيسًا لمجموعة أو سلك أو تنظيم «دير كلوني Abbé de Cluny» وهو في الثلاثين من عمره، وظل في الرئاسة لمدة أربع وثلاثين سنة حتى مات عام 1156م، فقام بإدارة الدير وتنظيمه الكنسي بحزم، وأصلحه إصلاحًا واسعًا، وضمن

---

17 عباس أرحيلة، ترجمة ُ القرآن إلى اللاتينية انطلاقةٌ لحركة الاستشراق. مجلة الدراسات والإعلام، رقم 278، 18 نوفمبر 1994، ص42 – 47.

http://rhilaabas.arabblogs.com/rhila49/archive/2008/4/522725.html

له، ولفروعه العديدة في إسبانيا وغيرها، موارد مالية واسعة، نتيجة اتصالاته السياسية بأمراء فرنسا وإسبانيا»[18].

«ورغم أن بطرس المبجل كان معتل الصحة فقد كان كثير الأسفار لتدعيم امبراطورية الأديرة التابعة له، جامعًا الأموال والأراضي والهبات من الملوك والأمراء»[19]. وقد أصبح «بطرس المبجل» شخصية دولية وشعبية مهمة، وصار أحد القادة الوطنيين والدينيين في عصره. وقد حضر العديد من المجالس الدينية الهامة، بما في ذلك مجلس بيزا عام ٤٣١١م، حيث ساعد في تفادي انقسام محتمل في الكنيسة من خلال دعم قضية البابا إنوسنت الثاني. كما حضر مجلس ريمس في سنة ٧٤١١م.

فريق الترجمة:

تكوّن هذا الفريق من أربعة مترجمين من إنجلترا وألمانيا وإسبانيا وفرنسا[20]:

1) الفلكي الإنكليزي القسيس «روبرت كِيتّوُنْ-Robert Ketton of Ches ter أو 1160 - 1110) [21]«Robertus Ketenensis»م) ولد في إنكلترا، وتلقى تعليمه بالمدرسة الكاتدرائية في باريس، حيث التقى بزميله هيرمان الديلماطي أو الكارينثي وقام معه برحلة طويلة استمرت أربع سنوات (1138-1134) إلى الشرق زار فيها الإمبراطورية البيزنطية والدويلات الصليبية في فلسطين وسوريا. تردد على مكتبة بني هود أمراء سرقسطة، وانتقل إلى مملكة نافار عام 1141م، وكان

---

18 عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت ط1 1984، ص 68.

19 حسن معايرجي، الهيئة العالمية للقرآن الكريم، مطابع الدوحة الحديثة، الدوحة، قطر 1991، ص 35.

20 وأود أن أنبه قرّاء العربية لكيفية كتابة ونطق اسم بطرس، فلدينا هنا أربعة يبدأ اسمهم ببطرس. ففي العربية تجد: بطرس، وبيتر، وبيير. بينما تجد في اللغات الأوربية المختلفة كتابة هذه الاسم بأشكال أكثر فهو: Peter, Petrus, Pierre, Piter, Pieter, Petro, Piero, Pedro. وغير ذلك كثير فأرجو ألا يسبب ذلك أي ارتباك للقارئ.

21 ويكتب اسمه أيضًا بهذه الأشكال: Robertus Cetenensis, Robert von Chester, Pobert von Ketton, Robert of Ketton, Robert de Retinas

مشهورًا كمترجم للرياضيات عن العربية. وقد ترجم القرآن الكريم وكتاب «Fabulae Saracenorum» أي «خرافات المسلمين». وقد كتب يقول: «وقد وضحت في ترجمتي في أي مستنقع آسن يعشعش مذهب السراسين (المسلمين) متمثلًا في عملي جنديَ المشاة الذي يشق الطريق لغيره. لقد قشعت الدخان الذي أطلقه محمد، لعلك تطفئه بنفخاتك (يقصد بذلك بطرس المبجل). كما جاء على لسانه أنه تصرف في النص بحرية حتى أنجز العمل. وكانت روح الاستهزاء والسخرية تظهر بوضوح في كتابات روبرت وترجمته للقرآن الكريم وخصوصًا في تسميته للسور.

2) المترجم الألماني «هيرمان الدلماطي Hermann of Dalmatia or Herman Carinthia ويعرف باللاتينية بـ Sclavus Dalmata, Secundus (1110-1172) ولد في إستريا Istria في كرواتيا وقد عاش في إسبانيا، وكان على صداقة حميمة مع روبرت كيتون إذ كانا يدرسان سويًا وبطريقة سرية لدفع الشبهة عن نفسيهما. وكان فيلسوفًا، ومترجمًا، ورياضيًا، وفلكيًا، واشتهر بترجماته المتعددة في علم الفلك من العربية إلى اللاتينية. وقد عمل ضمن هذه المجموعة كمترجم ثانٍ، وترجم كتاب "Doctrina Mahumet" أي: "تعاليم محمد"، وكتاب "Liber Generationis Mahumet" أي: "حياة محمد ونشأته"، وقد استكمل ترجمته في ليون عام 1142م.

لكن "روبرت كيتون وهيرمان الدلماطي كانا مترجمَيْن في المقام الأول للرياضيات وعلم الفلك. ويبدو أنهما كانا غير راغبين في العمل على النصوص المقدسة بدلًا من ذلك، حيث كتب بطرس المبجل أن قبولهما للعمل بهذه الترجمة لم يتم إلا من خلال "العديد من الصلوات والكثير من النفقات". وفي الواقع، يصف روبرت كيتون عمله على القرآن الكريم باعتباره انحرافًا عن اهتماماته الحقيقية بالهندسة وعلم الفلك. وعلى الرغم من أنه قد كوفئ مكافأة إضافية بإعطائه منصب رئيس الشمامسة في "بامبلونا Pamplona" عام 1143م، فإنه لم يبق هناك طويلا. فقد وَقَّع ترجمة في سيغوفيا عام 1145م ووضع الجداول الفلكية في لندن عام 1149م. ومن الواضح أن ترجمة النصوص المقدسة لم تكن هدفه النهائي. كل هذا قد يفسر لنا لماذا، قام روبرت "بعمل رديء" في ترجمته لنص القرآن

الكريم و "خرافات السارسان Fabulae Sarcenorum" على الرغم من أنه قد دُفع له بسخاء[22].

3) «بطرس الطليطليPeter of Toledo» كان من المترجمين المرموقين في القرن الثاني عشر، ولا يعرف الكثير عن حياته، ولكن طلاقته في اللغة العربية تجعلنا نفترض أنه من عائلة نصارى مستعربين (Mozarabs)، كما أن أنشطته في الترجمة توحي بأنه ربما كان يعمل في مدرسة طليطلة للمترجمين، التي كان يرعاها أسقف طليطلة «ريموند دى سوفيتا" Raymond de Sauvetât . وإن العيوب في ترجمة "اعتذاريات الكندي" تدل على أن معرفته بالعربية الفصحى كانت محدودة[23]. وكانت مهمته ضمن فريق الترجمة هي التخطيط والجمع والترتيب، إضافة لقيامه بترجمة كتاب: «Epistola Saraceni et Rescriptum Christiani» بالاشتراك مع «بطرس الذي من بواتييه»، وهذا الكتاب هو رسالة مزعومة من عبد الهاشمي إلى عبد المسيح الكندي، ورد الكندي عليها، وفيها دفاع حار عن عقيدة التثليث. وإذ يعطي «جيمس كريتزيك Kritzeck, James» الفضل لبيتر الطليطلي في التخطيط والجمع للمجموعة الإسلامية فإنه يفترض أنه المؤلف للملزمات المجهولة في المخطوطة التي بقيت حتى اليوم في باريس[24].

4) والقسيس «بطرس من بواتييه Pierre de Poitiers» وهو سكرتير «بطرس المبجل» الشخصي وصديقه الذي اختير فيما بعد رئيسًا للرهبان في دير سانت مارتيال في ليموج، ولا يعرف الكثير عن حياته، وربما جاء من مدينة بواتييه الفرنسية أو ما جاورها. ويبدو أن دوره كان رئاسة تحرير المجموعة الطليطلية وكان عليه العناية بالصياغة اللاتينية والإخراج. وقد قام بترتيب هذه المجموعة

---

22 *Translatio, disputatio, and the first Latin Qur'an*, Anthony Pym, Published as "The First Latin Qur'an, Disputation, and the Second Person of a Translation", (= Koiné 5-6), 1995-96, 173-183.

23 نقلاً عن موسوعة وكيبيديا الرقمية بتاريخ 16 نوفمبر 2014م.

http://en.wikipedia.org/wiki/Peter_of_Toledo

24 Kritzeck, James. *Peter the Venerable and Islam*. Princeton: Princeton University Press, 1964, (Princeton Oriental Studies No. 23).

الطليطلية عدة مرات، وبتحريرها، ووضعها في صورتها النهائية، ورتب فيها كتاب رسالة الكندي، وكتابًا آخر كتبه بطرس المبجّل سميّ «خلاصة البدعة الإسلامية *Summa totius haeresis Saracenorum*» بنى عليه ما استخلصه مما جاء

في المجموعة الطليطلية. ونستشفُّ طبيعةَ عمله من رسالة كتبها إلى «بطرس المبجل» يقول فيها: « لقد رتبت الآن المجموعة ترتيبًا أفضل من السابق، فإن رضيت كان بها، وإلا فلك مطلق الحرية في تصحيح ما تشاء. فأنت وحدك الذي الذي مزق أعداء المسيحية الثلاثة بسيف الكلمة المقدسة، وأعني بهم اليهود والوثنيين والسراسين»[25].

5) وربما استعان هؤلاء للمساعدة على فهم المعاني العربية بعربي مسلم أو باثنين يدعى أحدهما محمد ولا يعرف شيء عن الآخر، وليس هناك ما يؤكد وجود أي من هذين الرجلين أصلا»[26] إذ «لم يذكر رئيسُ الديرِ خبرَ الاستعانة بعربي إلا بعد عدة سنوات تالية[27]" «والاحتمال الأكبر هو أن هذا العربي شخصية وهمية. فقد دأب القوم على وصف بعض الكتب بأن مؤلفها مسلم ارتد إلى المسيحية لإعطاء الكتاب توثيقًا أكبر، وتلك حيلة استعملوها بخاصة عند ترجمة القرآن الكريم»[28].

ونلاحظ أن هذا الفريق ضم عناصر متكاملة لديها كل الخبرة في اللغتين العربية واللاتينية، كما أن لديها ماضيًا مهنيًا في ترجمة كتب الطب والهندسة والفلسفة

---

[25] حسن معايرجي، الهيئة العالمية للقرآن الكريم، مطابع الدوحة الحديثة، الدوحة، قطر 1991م، ص 47-43 ويضم هذا الكتاب أسماء مترجمي المجموعة الطليطلية وحياتهم وأعمالهم، وما قام به كل منهم ضمن هذه المجوعة بتفصيل لم أر مثله في أي موضع آخر.

[26] حسن معايرجي، الهيئة العالمية للقرآن الكريم، مطابع الدوحة الحديثة، الدوحة، قطر 1991م ص 47.

[27] *Translatio, disputatio, and the first Latin Qur'an*, Anthony Pym. Published as "The First Latin Qur'an, Disputation, and the Second Person of a Translation", (= Koiné 5-6). 1995-96, 173-183.

[28] حسن معايرجي، الهيئة العالمية للقرآن الكريم، مطابع الدوحة الحديثة، الدوحة، قطر 1991م ص 47.

والفلك والرياضيات والنبات وغيرها من العربية إلى اللاتينية، ولو قصدوا الأمانة والدقة لأتوا بترجمة لاتينية ممتازة للقرآن الكريم من حيث دقة المعنى ووضوح الصياغة وجزالة التركيب.

نموذج من الترجمة[29]:

نقل إلينا المؤرخ الأمريكي المعاصر»توماس بورمان» ترجمة روبرت كيتون لست آيات من سورة البقرة هي الآيات من 23 وحتى 28، وسوف نستعرضها آية فآية، بذكر نص الآية القرآنية، ثم ترجمة روبرت كيتون اللاتينية لهذه الآية، وأخيرًا المعنى العربي لهذه الترجمة:

فالآية 23 من سورة البقرة نصها بعد «بسم الله الرحمن الرحيم»: ﴿«وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23)»﴾.

وقد ترجمها روبرت كيتون كما يلي:

"(23) hunque librum ueracem esse penitus credite: uel consimilem simul omnes manum conferentes. si possible sit: perficite. testibusque firmate».[30]

ومعنى هذه الترجمة: «(23)آمنوا بعمق أن هذا الكتاب حق، أو، ومع كل المساعدة التي تستطيعون الحصول عليها دفعة واحدة، أتموا -لو كان ذلك ممكنًا- واحدًا مماثلا له، وادعوا لذلك الشهود».

أما الآيتان 24 و25 من سورة البقرة، ونصهما في القرآن الكريم: «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا

---

29 Thomas E. Burman, *Reading the Qur'an in Latin Christendom 1140-1560*,University of Pennsylvania Press 2007. Page 30-31

30 ص 30.

وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ[24] وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ. كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا ۝ قَالُوا هذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ[25]».

وقد ترجمها روبرت كيتون كما يلي:

«(24-25) Sin autem: ignem gehenne malos puniturum pertimescentes. deum paradiso bonos inducturum. Ubi dulcissimas aquas. Pomaque multimoda. Frustusque varios. Et decentissimas ac mundissimas mulieres. Omnemque bonum in eternum possidebunt: predicate».

ومعنى هذه الترجمة:

«(24، 25) ولكن إذا لم (هكذا)، عندها خوفًا من نار جهنم على وشك أن تعاقب الشرير، أعلنوا أن الله سيقود الطيبيين للجنة، حيث سيمتلكون أعذب المياه والفواكه المتنوعة، ومنتجات مختلفة، وأطهر وأنظف النساء وكل شيء طيب في دار الخلود».

كما ترجم الآيتين 26 و27 من سورة البقرة ونصهما: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ[26]الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ[27]».

وقد ترجمها كما يلي:

«(26-27) Praus autem et incredulous. culicibus uel huiusmodi comparare: dues nequaquam erubescet. Multis itaque bonis recto calle gradiebtibus. cum mali plures. Ipsique soli mentientes deo. nefanda et a deo prohibita. Sicque sibi flagicio sunt. gerentes. Perniciosam sectam exequantur: deum perce quare non flecititis?»

ومعنى هذا الكلام بالعربية:

«(27 ، 26) إن الله لا يستحي أن يقارن العاصي وغير المؤمن بالبعوضة أو ما يشابهها. ولذلك، مع العديد من الناس الطيبين الذين يمشون في الطريق المستقيم، لماذا لا تجعلون الله يلتفت (إليكم) بالصلاة، حيث أن سيئين عديدين، يكذبون على الله وحده، ويتبعون الطائفة الخبيثة، ويعملون أشياء يعجز عنها الوصف، قد نهى الله عنها. وهم بذلك يلحقون الخزي بأنفسهم».

ثم ترجم الآية 28 من سورة البقرة والتي نصها: «كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ[28]». كما يلي:

«Hic namque uos ad uitam de non esse deducens: mortem inducet. et ad se uos resurgere faciet».

ومعناها: «(28) لأنه، أخرجكم للحياة من العدم، سيأتي بالموت، وسوف يرفعكم إليه».

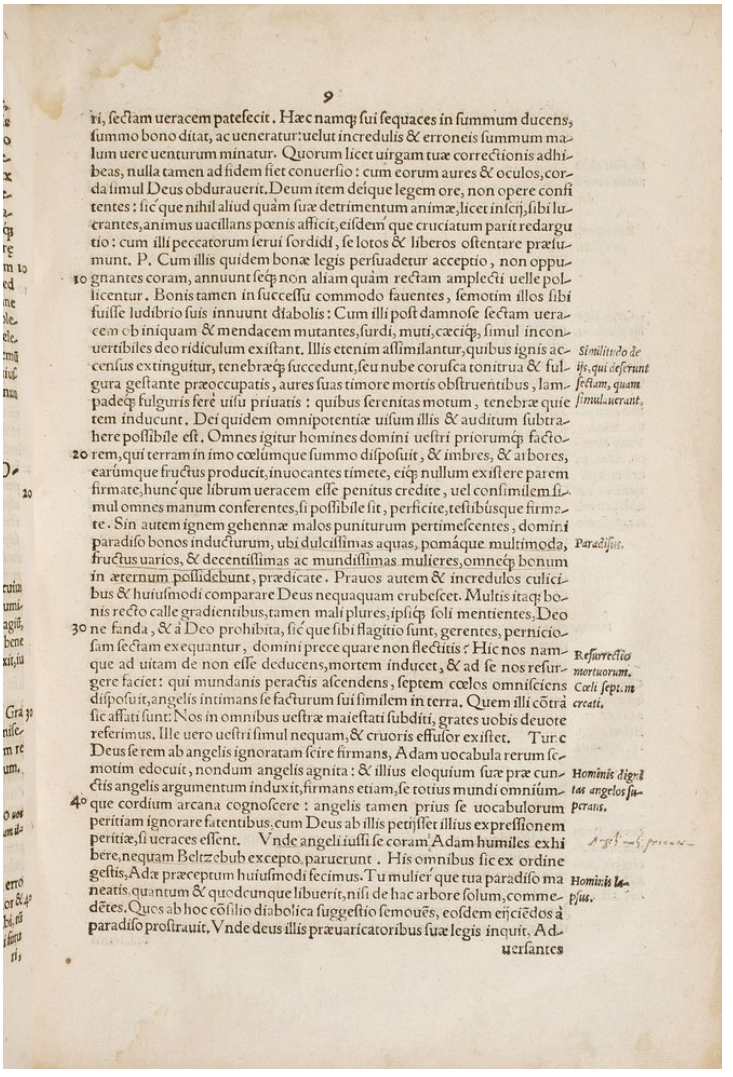

9

ri, ſectam ueracem patefecit. Hæc namq; ſui ſequaces in ſummum ducens,
ſummo bono ditat, ac ueneratur: uelut incredulis & erroneis ſummum ma-
lum uere uenturum minatur. Quorum licet uirgam tuæ correctionis adhi-
beas, nulla tamen ad fidem fiet conuerſio: cum eorum aures & oculos, cor-
da ſimul Deus obdurauerit. Deum item deique legem ore, non opere confi
tentes: ſicque nihil aliud quàm ſuæ detrimentum animæ, licet inſcij, ſibi lu-
crantes, animus uacillans pœnis afficit, eiſdemque cruciatum parit redargu
tio: cum illi peccatorum ſerui ſordidi, ſe lotos & liberos oſtentare præſu-
munt. P. Cum illis quidem bonæ legis perſuadetur acceptio, non oppu-
gnantes coram, annuunt ſeq; non aliam quàm rectam amplecti uelle pol-
licentur. Bonis tamen in ſucceſſu commodo fauentes, ſemotim illos ſibi
fuiſſe ludibrio ſuis innuunt diabolis: Cum illi poſt damnoſe ſectam uera-
cem ob iniquam & mendacem mutantes, ſurdi, muti, cæciq;, ſimul incon-
uertibiles deo ridiculum exiſtant. Illis etenim aſſimilantur, quibus ignis ac-
cenſus extinguitur, tenebræq; ſuccedunt, ſeu nube coruſca tonitrua & ful-
gura geſtante præoccupatis, aures ſuas timore mortis obſtruentibus, lam-
padeq; fulguris ferè uiſu priuatis: quibus ſerenitas motum, tenebræ quie
tem inducunt. Dei quidem omnipotentiæ uiſum illis & auditum ſubtra-
here poſſibile eſt. Omnes igitur homines domini ueſtri priorumq; facto-
rem, qui terram in imo cœlúmque ſummo diſpoſuit, & imbres, & arbores,
earúmque fructus producit, inuocantes timete, eiq; nullum exiſtere parem
firmate, hunc que librum ueracem eſſe penitus credite, uel conſimilem ſi-
mul omnes manum conferentes, ſi poſſibile ſit, perficite, teſtibúsque firma-
te. Sin autem ignem gehennæ malos puniturum pertimeſcentes, domini
paradiſo bonos inducturum, ubi dulciſſimas aquas, pomáque multimoda,
fructus uarios, & decentiſſimas ac mundiſſimas mulieres, omneq; bonum
in æternum poſſidebunt, prædicate. Prauos autem & incredulos culici-
bus & huiuſmodi comparare Deus nequaquam erubeſcet. Multis itaq; bo-
nis recto calle gradientibus, tamen mali plures, ipſiq; ſoli mentientes, Deo
ne fanda, & à Deo prohibita, ſicque ſibi flagitia ſunt, gerentes, pernicio-
ſam ſectam exequantur, domini prece quare non flectitis? Hic nos nam-
que ad uitam de non eſſe deducens, mortem inducet, & ad ſe nos reſur-
gere faciet: qui mundanis peractis aſcendens, ſeptem cœlos omniſciens
diſpoſuit, angelis intimans ſe facturum ſui ſimilem in terra. Quem illi cõtrà
ſic affati ſunt: Nos in omnibus ueſtræ maieſtati ſubditi, grates uobis deuote
referimus. Ille uero ueſtri ſimul nequam, & cruoris effuſor exiſtet. Tunc
Deus ſe rem ab angelis ignoratam ſcire firmans, Adam uocabula rerum ſe-
motim edocuit, nondum angelis agnita: & illius eloquium ſuæ præ cun-
ctis angelis argumentum induxit, firmans etiam, ſe totius mundi omnium-
que cordium arcana cognoſcere: angelis tamen prius ſe uocabulorum
peritiam ignorare fatentibus, cum Deus ab illis petiſſet illius expreſſionem
peritiæ, ſi ueraces eſſent. Vnde angeli iuſſi ſe coram Adam humiles exhi
bere, nequam Beltzebub excepto, paruerunt. His omnibus ſic ex ordine
geſtis, Adæ præceptum huiuſmodi fecimus. Tu mulier que tua paradiſo ma
neatis, quantum & quodcunque libuerit, niſi de hac arbore ſolum, comme-
dẽtes. Quos ab hoc cõſilio diabolica ſuggeſtio ſemouẽs, eoſdem eiſciẽdos à
paradiſo proſtrauit. Vnde deus illis præuaricatoribus ſuæ legis inquit. Ad-
uerſantes

Similitudo de iis, qui deſcrunt ſectam, quam ſimul.uerant.

Paradiſus.

Reſurrectio mortuorum.

Cœli ſept. m creati.

Hominis dignitas angelos ſuperans.

Hominis lapſus.

الصفحة الثانية من ترجمة روبرت كيتون لسورة البقرة، والآيات 23–28 منها تقع بين السطرين 22 و 34 [31]

31 *The Qur'an in the Earliest Printed Version, with the Life and Teachings of Muhammad and Other Works*. P. 40. http://www.wdl.org/en/item/9922/view/1/40/

نقد المؤرخ المعاصر توماس بورمان لترجمة هذه الآيات [32]:

«هذه صياغة جديدة كاملة للقرآن الكريم من البداية حتى النهاية -paraphras tic)[33]. لقد قام روبرت بإعادة تركيب الآية الأولى رقم 23: «وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ ..... فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ» وصاغها كأمر ثنائي: (آمنوا.... أن هذا الكتاب هو حق. أو.. أتموا واحدًا مماثلا له). كما ترك روبرت السؤال الذي بدأت به الآية الأخيرة رقم 28: «كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ» وأغفله تمامًا. وفي خلال الترجمة دمج زوجين من الآيات في جملة واحدة. حيث إن الآية 24: «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا» تم تحويلها بشكل مقتضب إلى (ولكن إذا لم)، وبعدها أتى بالأمر «فَاتَّقُوا النَّارَ» حيث تمت صياغتها كجملة لاسم الفاعل (خوفًا من نار جهنم) والتي هي تابعة لجملة فعل الأمر في الآية 25:»وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ». وبعد أن نقل الجزء الأول من الآية 26: «إِنَّ اللَّه لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا» بشكل جيد أخفق روبرت في فهم النحو العربي العسير، وقام بترجمة بقية السورة بطريقة مبهمة وبعيدة تمامًا عن النص العربي الأصلي.

وهذا هو الشيء (ما رأيناه في الفقرة السابقة) الذي دأب قرّاء روبرت من العلماء عبر القرون على أن يشجبوه فيه. لقد كتب «خوان دي سيغوفيا Juan de Segovia» في مقدمة ترجمته للقرآن أول وأطول وأعدل نقدٍ لترجمة روبرت كيتون اللاتينية للقرآن. حيث أوجز أخطاء روبرت كمترجم بما يلي: «لقد حرّك ما هو في بدايات نصوص كثيرة إلى النهاية وبالعكس. كماً غيّر معاني القرآن، وفي بعض الأحيان ترك ما هو صريح في النص، ووضع ما هو ضمني المعنى». إن كل هذه الأخطاء تبدو بشكل واضح في النص المشار إليه أعلاه. ولذلك فمن السهل أن نرى أن «ديفيد كلوفيل David Cloville» المستشرق الاسكتلندي الكاثوليكي في بداية القرن

---

32 Thomas E. Burman, *Reading the Qur'an in Latin Christendom 1140-1560*,University of Pennsylvania Press 2007 Page 31-33.

33 لقد أجمع كل الباحثين الغربيين على وصف ترجمة روبرت كيتون للقرآن الكريم بأنها -paraph rastic ، أي صفة من كلمة paraphrase، وهي كلمة مكونة من جزئين، الأول: para وتعني بجانب أو بقرب، أومشابه، أوخاطئ، أوفرعي. والثاني: phrase وتعني جملة. فيصير المعنى الإجمالي لكلمة paraphrase: إعادة سرد النص الأصلي بكلمات أخرى، مشابهة، قريبة، فرعية، أو خاطئة.

السابع عشر يقول «بأنه من النادر في نصوص روبرت أن تجد سطرًا واحدًا يتلاءم مع نص القرآن». وقد استمر هذا النقد إلى عصرنا الحاضر. ومن الحقيقة أيضًا القول بأن هذا النص المترجم لروبرت ليس نموذجيًا، أي لا يمثل ترجمته كلها. وعلى الرغم أن ترجمة روبرت كانت «تلخيصًا موسعًا paraphrase» كاملًا فإن «بوزين Bobzin» قد وصف هذه الترجمة بأنها «تأليف جديد». حيث لا توجد أماكن كثيرة في ترجمة كيتون (Lex Mahumet) يبتعد فيها النصان اللاتيني والعربي كل البعد عن بعضهما كما في الآيتين 26-27 من سورة البقرة. ولكن وعلى الرغم أن ترجمته للآيات من 1-5 من سورة الحج تتوافق أكثر مع النص العربي، إلا أن تحمسه لصياغة جديدة لنص القرآن لم تفتر أبدًا، لذلك تراه يُعدّل ويصيغ من جديد السور الأخيرة من القرآن الكريم.

ويضيف توماس بورمان: «وعلى الرغم أن الكثير من الباحثين قد أشاروا إلى التأليف الموازي)أو التلخيص الموسع paraphrastic ways) لروبرت كيتون، فإن أحدًا لم يقم بشرح السؤال التالي - والمهم في نظري - وهو: ما هي طبيعة النص اللاتيني الناتج؟ ويضيف: «إن ما أريد الإشارة إليه في الصفحات التالية من هذا الفصل هو أن ما قام روبرت بإنجازه في إعادة التأليف الحيوية هذه هو قرآن لاتيني يتلاءم بشكل مثير للاهتمام مع المعايير الحديثة ذات الأساليب الجيدة والتي يطلق عليها الباحثون المحدثون اسم: «الأسلوب الرفيع». وعندما يقرأ قراء اللاتينية ترجمة روبرت فإنهم سيجدون وثيقة ذات أسلوب أنيق له مصداقية أدبية، على الرغم – كما سنرى في فصول تالية- بأن التعليقات والهوامش التي أحاطت بالترجمة والأعمال التكميلية التي رافقتها ستوجههم إلى قراءتها باعتبارها نصًا مقدسًا مفترى».

ويقول توماس بورمان أيضًا: «إذا نحينا بصرنا عن بُعد روبرت عن تسلسل الكلمات العربية في القرآن، ودققنا في طبيعة النص اللاتيني الناتج، فإنه من الواضح أن روبرت كان يستخدم باستمرار تقنيات الأساليب الأدبية اللاتينية في التأليف والتي كان يوصى بها في كتب البلاغة «الالتزام بالبلاغة شبه الشيشرونية». فعلى سبيل المثال لا يسعنا إلا أن نلاحظ أن روبرت قد استعمل التناظر في ترجمة نص الآيات 21-29 من سورة البقرة من خلال استعمال فقرات متوازنة التركيب

(السجع) حسبما كان يمارسه المؤلفون المثقفون في ذلك الوقت. وقد نحت أو شكّل الآيات 21-25 كثلاث جمل طويلة بنيت حول سلسلة من المقاطع معظم أفعالها جاءت في نهاية الجملة وبصيغة الأمر:

Omnes igiturhomines deum . . . inuocantes: timete. eique nullum existere parem firmate. (23) hunque librum ueracem esse penitus credite: uel consimilem simul omnes manum conferentes. si possible sit: proficite. testibusque firmate. (24-25) Sin autem: ignem gehenne malos puniturum pertimescentes. deum paradiso bonos inducturum . . . predicate».

وزيادة على ذلك أضاف روبرت ضمن هذه السلسلة من جمل أفعال الأمر، عنصر تناظر آخر وهو تكرار اسم الفاعل: (inuocantes, conferentes, pertimes-centes). وتحتوي الآية 26 على تناظر جيد آخر (deo nefanda et a deo pro-gerentes . . . hibita)، كما هو الحال في الآيتين التاليتين من خلال تبادل اسم الفاعل مع الأفعال ذات الفاعل الغائب «هو»: (Hic . . . uos ad vitam . . . deducens: mortem inducet . . . qui mundanis peractis ascendens: septum cellos omnium sciens. disposuit.)

إن ترجمة الآيات الخمس الأولى من سورة الحج تتضمن تقنيات (لغوية) مشابهة. حيث قام روبرت باستخدام أسلوب «التقديم والتأخير hyperbaton » وهو تبديل ترتيب الكلمات التي تعود لبعضها بعضًا، وهذا أسلوب أدبي تجيزه وتتقبله اللغة اللاتينية. مثل dues malum inferet grauissimum (الآية 2)، وبشكل أوضح et erit quidam mortis iuri suppositus (الآية 5). لقد استخدم روبرت (التكرار التركيبي أو التوازي parallelism) أيضًا في الآية 2 --quan-do nutrix suum alumpnum renuet. pregnans aborsum faciet- وفي إحدى الحالات أدخل أسلوبًا أدبيًا آخر وهو تكرار اللفظة الواحدة في أوائل كل الجمل المتعاقبة، ونرى ذلك في الآية رقم 5: et erit quidam mortis iuri sup-positus. quidam autem ad peiorem deductus وتحتوي الفقرة الأولى -كما شاهدنا- أيضًا على أسلوب التقديم والتأخير. ولقد حافظ روبرت على هذه التقنيات حتى نهاية (قرآنه) اللاتيني».

نموذج آخر من الترجمة[34]:

وهذا نموذج آخر من طريقة الترجمة الغريبة لروبرت كيتون وفره لنا توماس بورمان، وهي الآيات الأربع الأولى من سورة الحج، والتي نصها: « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ[1] يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ [2] وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ[3] كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ[4] ».

وقد ترجمها روبرت كيتون بما يلي:» سلالة البشر، خافوا الله، لأن زلزال الساعة الأعظم، يجب أن يُخاف في يوم القيامة(2) حينما تطرح المرضعة رضيعها، والمرأة الحامل سوف يحصل لها إجهاض، وكلاهما، رغم أن هذا خاطئ، سوف تبدو سُكرى، لأن الله سوف يأتي بأثقل فاجعة (4-3) وهو كان قد كتب سابقًا، أنه سيسجل كل غبي يجادل ضد الله، وكل تابع للشيطان الشرير، لأنه سوف يضل كل واحد من هؤلاء التابعين بكل تأكيد، وسيرمي بهم في عذاب النار».

ويلاحظ هنا بوضوح أن روبرت كيتّون قد كتب نصًا آخر غير القرآن الكريم، غيّر فيه الكثير من النصوص والمعاني والمضامين. مما يجعل ترجمته غريبةً وغيرَ أمينة ولا دقيقة».

تسمية السور[35]:

كتب روبرت كيتون أسماء سور القرآن الكريم باللون الأحمر القاني. وضرب بأسماء السور (الحقيقية) عرض الحائط. ولم يحتفظ إلاّ باسم السورتين الأوليين

---

34 في دراسته لترجمات القرآن باللغة اللاتينية يوفّر توماس بورمان في الصفحات 199-203 من كتابه "قراءة القرآن باللاتيني" نصوص ترجمة الآيات الخمس الأولى من سورة الحج بنصها اللاتيني كما وردت في ترجمات كل من: روبرت كيتون، ومارك توليدو، وفلافيوس ميثيريداتيس، وأيخديو دا فيتيبرو، ثم قام روبرت بترجمتها للإنجليزية، ثم أجرى مقارنة بين عمل هؤلاء المترجمين الأربعة.

35 Thomas E. Burman, *Reading the Qur'an in Latin Christendom 1140-1560*,University of Pennsylvania Press 2007 Page 65.

فقط، الفاتحة والبقرة، لكنه بعد ذلك إما أنه أهمل وضع أسماء السور واكتفى بأرقامها، أو قام بإعطائها ما عنّ له من تسميات عفو الخاطر. وقد تطول تسميته بحيث يضطر لكتابتها بخط صغير يستمر أحيانًا حتى يصل إلى الهامش. وقد كتب عنوان سورة هود هكذا: «سورة رقم 11، هنا يقول من خلال جنونه وخبله –كما يفعل دائمًا– إن اليهود لم يقتلوا المسيح، بل شخصًا مجهولا يشبهه، وبأن اللّه ليس له ولد». وبعض العناوين يشجب مضمون السورة، بينما يضع لسور أخرى شيئًا لا يشبه العنوان في شيء، فهو يسمي سورة الأحزاب هكذا: «سورة 33 فارغة وغبية وعاقّة». وحرفيًا: «Azoara XXXIII vana, stulta et impia». ولا يستمر في ذلك، إذ تخلو السور الثماني والثلاثون الأخيرة من أي تسميات، ولعل لطول السورة علاقة بذلك، فقد سمى السور الطوال وأعفى قصار السور من تسمياته، واكتفى بترقيمها.

ولهذه العناوين التهكمية والهجومية تأثير أقل على القارئ من الهوامش الطويلة والحواشي المدرجة بين أسطر كثير من الأوراق.

الهوامش والحواشي في ترجمة روبرت كيتون[36]:

كتبت الحواشي باليد بعناية وقصد بها إعانة القارئ في دراسته للمخطوطة. ومن ناحية أخرى تبدو هذه الحواشي كاستمرار لعادة التهجم على القرآن وتسفيه أقواله مع استخدام نفس مفردات السخرية والاشمئزاز. فقد ورد في الصفحة 271 حاشية بين عمودين ترد على ذكر القرآن (في الآيات 52–55 من سورة البقرة) لعتاب موسى لقومه إذ عبدوا العجل من بعده: «أنظر إلى هذه الكذبة المضحكة Nota ridiculum mendacium». ولا تختلف لهجة هذه الحاشية عن لهجة باقي الهوامش وإن اختلفت في اللغة. وهي تلح دومًا على أن القرآن ما هو إلا نسيج من قصص خيالية، فيقول في إحدى الملاحظات الجانبية: «فيما يلي الخرافة الأكثر غباء عن اللّه وآدم والملائكة والشيطان، وأنا لا أعرف من أين وجد ذلك» وهنا تتم

36 Thomas E. Burman, Reading the Qur'an in Latin Christendom 1140-1560,University of Pennsylvania Press 2007 Page 67-64.

الإشارة ضمنًا أن محمدًا هو مؤلف القرآن، وهو شيء لا بد من تذكير القارئ به باستمرار. وفي تعليقه على الآية 23 من سورة البقرة يفتخر «وكأنه لا يمكن لأي إنسان أن يصنع هذا الكتاب». وحيث إن قدرا كبيرا من القرآن الكريم يسرد قصصًا مألوفة بالفعل للقارئ المسيحي، فإن الحواشي اتهمت محمدًا بالسرقة. وفي ترجمته لكلمة « قنطار» في الآية 75 من سورة آل عمران «ومنهم من إن تأمنه بقنطار» وكلمة قنطار تعني «المال الكثير» فإنه يستخدم كلمة: «مواهب من ذهب auri talentum» وهي عبارة توراتية بامتياز. ثم بعد ذلك يكتب في الهامش: «هنا يسرق (محمد صلى الله عليه وسلم) من التوراة». ولكنه لا يصور محمدا ككاتب لقصص مخزية ومنتحل لها فقط. بل ويقول إنه ليس ماهرًا في ذلك أيضًا. إذ يقول في حاشية بعد الآية 115 من السورة البقرة: «لاحظ هذا الغباء وكيف أنه غالبا ما يكرر ذلك، تماما مثل العديد من الأشياء الأخرى»، «ليس لديه شيء آخر ليقوله». كما تخلص الإشارات المتكررة إلى أن محمدًا كثيرًا ما يبدو وهو يناقض نفسه.

ونرى أحيانا أن الهوامش تهاجم النص (نص القرآن الكريم) نفسه مباشرة، مع عدم الإشارة إلى دور محمد في الوحي. وقد وصف الهامش بجانب الآية 230 من سورة البقرة والتي تتعرض لأحد جوانب قانون الطلاق في الإسلام بأن هذا القانون هو الأكثر كراهة lex lurpissima ". ويسخر المترجم من قَسَم الله عز وجل وخاصة في السور الأخيرة، بالفجر، أو الشمس، والعاديات، والقلم، ويبدو له ذلك مثيرًا للضحك. ويشوّه قسم الله عز وجل "لا أقسم بيوم القيامة" فيترجمه: "أقسم بيوم في عالم المستقبل " Per diem seculi future " ثم يعلق على ذلك في الهامش بما يلي: "ما أغبى هذا القَسَم الذي جعل الله يُقسم به " . وكان يكتب أسفل الآيات أحيانا كلمة «لاحظ» بدون أي تعليق آخر، ولكن هذه الملاحظة بحد ذاتها تعني هجومًا ضمنيًا على مضمون القرآن. وقد وصفت معظم الآيات الخمسة عشرة الأخيرة من سورة الرحمن (سورة 55) الجنة بكل ثرائها، وجاءت تعليقاته الخمسة المتكررة بكلمة (لاحظ) لتدعو القارئ للمقارنة بين الجنة الإسلامية ذات الطبيعة المادية، والجنة المسيحية الأكثر روحانية. ولا يمكنك أن تلتقط روح هذه التعليقات بأفضل مما تجده قرب النهاية حيث يقول: «لاحظ الغباء في كل مكان».

ولقد كان واضحًا إذن، بأن هذه الهوامش قد تم ترتيبها ليتم التأكد متى ستحصل الصدمة للقراء المسيحيين للقرآن وما الذي سيجدونه سخيفًا فيه. ومع ذلك، يجب

أن لا تصم آذاننا هذه الهوامش التي تصرخ بالإهانات عن حقيقة أنها أشد تعقيدًا مما تبدو من الوهلة الأولى، كما رأت ماري تيريز دالفيرني قبل خمسين عامًا[37]. ففي حين أن الكثير من هذه الملاحظات تستهجن أو تعيب النص القرآني، فإن بعضها، كما لاحظْتُ، قد نقل كلمات عربية وكتبها كما تقرأ ولكن بأحرف لاتينية، وبعضها أعطى معلومات لغوية أو تاريخية أو جغرافية. وقد وفرت بعض هذه الملاحظات، فوق ذلك، تفسيرات عقائدية تدل على معرفة عميقة بالإسلام. فواحدة منها تشرح الأسماء الحسنى، وأخرى تعطي ترجمة بديلة لسورة الفاتحة، بينما تشير ملاحظات أخرى لنصوص توراتية موازية لنص القرآن الكريم.

فإذا نظرنا لهذه الملاحظات بشيء من التفصيل، تبين لنا بأن الاستنتاج البديهي لماري تيريز دالفرني كان صحيحًا تمامًا. فهذه الملاحظات، مثلها مثل ترجمة روبرت، مبنية على تفاسير القرآن التي يعود لها المترجم –أو المترجمون– للمساعدة في توضيح نص صعب. وكما ساعد الفهم اللغوي للقرآن روبرت وهو يترجم القرآن أغراض «بطرس المبجل» في برنامجه للهجوم العنيف على القرآن وتفنيده له، استمر هذا التمازج بين الفهم والتفنيد في الملاحظات الجانبية أيضًا. وقد أصبحت هذه الصلة أكثر وضوحًا إذ ظهرت الملاحظات العدائية واللغوية جنبًا إلى جنب، بل وفي أحيان غير قليلة، امتزجت مع بعضها بشكل أو بآخر.

بقية المجموعة الطليطلية[38]:

لم يكتف روبرت كيتون (أو ربُّ عملِهِ بطرس المبجل) بحشر القرآن المكبوت (لأن نصه لم يترجم إطلاقًا بل ترجم النص المحرّف الذي افتراه) ضمن إطار معقد من الهوامش الغزيرة العدائية فقط، بل وضعه (كما رآه توماس بورمان في مخطوطة الآرسِنال) ضمن سلسلة من المؤلفات الأخرى التي ألفها يهود متنصرون أو نصارى

37 D'Alverny, Marie Therese. "La Connaissance de l'Islam en Occident du IXeme siècle au milieu du XIIe siècle".

38 Thomas E. Burman, *Reading the Qur'an in Latin Christendom 1140-1560*, University of Pennsylvania Press 2007 Page 78-76.

مستعربون، وهي كتب أبعد ما تكون عن الإسلام، بل هي إلى الأساطير والتلفيق أقرب لتضغط عليه من كل جانب، حتى تضمن أن القارئ المسيحي سيقرؤه بنظرة من يفنده ويدحضه. وبالطبع فإن مقدمة روبرت كيتون قد أسهمت في هذا الاتجاه من خلال تعليقاته البذيئة على الإسلام. لكن ما هو أهم من ذلك كان سلسلة من النصوص الأخرى تتألف، أولًا، من ثلاثية من الكتب عن التقاليد الإسلامية.

أول هذه الكتب يدعى: «خرافات السراسان Fabulae Saracenorum»[39] وهويعني «خرافات المسلمين» ولها عنوان جانبي -مشابه في لهجته للتسميات العدائية لسور في قرآن روبرت اللاتيني- هو: «التاريخ الكاذب والسخيف للسراسان» وهو عبارة عن محتويات مأخوذة من تاريخ المسلمين، ثم مترجمة كيفما اتفق من قبل روبرت كيتون. وفيه نتعلم على سبيل المثال عن الأشياء الأربعة التي خلقها الله سبحانه وتعالى بنفسه وهي «القلم، آدم، العرش والجنة»، ونتعلم كذلك عن حَمْل البشر، والتواريخ الدقيقة لأحداث الأنبياء والبطاركة (جمع بطريرك)، وعن أحداث الهجرة وسيرة الخلفاء الأوائل. «وقد تكلم (الكتاب) عن آدم وخلق الإنسان وعدد الأنبياء، والرسل، وأنهم بلغوا مئة وعشرين ألف نبي، منهم 315 رسولًا، منهم خمسة من اليهود، وخمسة من العرب، واعتبر موسى أول الخمسة اليهود وعيسى آخرهم، ويقول الكتاب إنه أُنْزِلَ على الأنبياء 104 كتب، وإن العرب والفرس والرومان واليهود هم أكثر شعوب الأرض حكمة، وإن الرسول قد رأى في المنام أن عمر العالم هو سبعة آلاف سنة، وأنه بعث في الألف السادسة، ثم سرد لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين»[40]. وكثير من هذه الأخبار معلوم على نطاق واسع في العالم الإسلامي، لكن «جيمس كريتزك James Kritzeck» لم يستطع أن يعثر على عمل عربي يضم كل هذه معًا وبالتالي يمكن

---

39 السراسان «Saracens» هم المسلمون، وهي تسمية أطلقت على العرب باللغة اللاتينية منذ القرن الرابع الميلادي، وتعني «غير المنحدرين من سلالة سارة» زوجة ابراهيم عليه السلام. وهي مكونة من كلمتين: «ساره»، واللاحقة «سان cen» تعني عديم أو خالي أو بدون. ثم أطلقت هذه التسمية فيما بعد على المسلمين خلال الحروب الصليبية. والتصقت بهذه التسمية خرافتان، إحداهما تقول إن المسلمين يعبدون وثنًا هو «فينوس»، والثانية تقول» إنهم يتعمدون إخفاء هويتهم الحقيقية.

40 حسن معايرجي، الهيئة العالمية للقرآن الكريم، مطابع الدوحة الحديثة، الدوحة، قطر، 1991، ص 48.

أن يقال إنها تُرجِمت منه. «ومن سياق السرد يمكن للإنسان أن يستشف اليد غير المسلمة التي تؤرخ والتي تكتب»[41].

والكتاب الثاني كان بعنوان: «حياة محمد ونشأته Liber generationis Mahu-met et nutritia eius» ترجمه «هيرمان الدلماطيDalmatai Hermannus"، وفيه يعيد حكاية أساطير كثيرة عن الخلق، وعن حياة شخصيات في «العهد القديم»، وعن حياة محمد، كل ذلك ليوضح أن ضوء النبوة المعجز يمكن تتبعه من بداية العالم وعبر أنبياء اليهود وصولًا إلى محمد. لقد لعبت النبوءات السابقة على مجيء محمد دورًا محددًا هنا، كما فعلت المعجزات التي ارتبطت بميلاده. وفي هذه الحالة فإن الأصل العربي قد تم إظهاره بشكل واضح كما في: «كتاب ذرية رسول الله».

وعن هذا الكتاب يقول د. حسن معايرجي: «أما عن كتاب نسب الرسول فهو كسابقه مملوء بالأساطير والإسرائيليات، ويعتقد أن أصله في العربية هو كتاب نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو من أخبار كعب الأحبار وسعيد بن عمر»[42].

والكتاب الثالث كان بعنوان: «تعاليم محمد Docdtrina Mahumet» وقد ألّفه أو ترجمه (Hermannus Dalmatia) عن كتاب بعنوان: «مسائل أبي الحارث عبد الله بن سلام» وهو «كتابٌ بني على أساس مائة سؤال موجهة من أربعة من اليهود إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كما يزعم صاحبه، يحتوي على كثير من الأساطير والتصورات اليهودية، والإسرائيليات والأسئلة والأحاجي وتتراوح هذه الأسئلة بين: «هل أنت نبي؟» و«هل أنزل الله عليك كتابًا؟»، لتصل إلى ألغاز مسلية. وهذه بعض الأمثلة من الأسئلة التي ذُكِرت في هذا الكتاب تدل على مدى ضحالة المصادر التي اعتمد عليها بطرس الكلوني في محاجة المسلمين:

---

41 المرجع السابق نفسه.

42 المرجع السابق نفسه.

سأل اليهودي الرسول صلى الله عليه وسلم: من هو الابن الذي هو أقوى من أبيه؟.

جواب الرسول صلى الله عليه وسلم: هو الحديد الذي هو أقوى من الخام المأخوذ منه، والنار التي هي أقوى من الحديد، والماء الذي هو أقوى من النار، والريح التي هي أقوى من الماء. ولعله يلمّح إلى الابن الذي هو أقوى من الأب عند المسيحيين، أو إسرائيل الذي صارع الرب وصرعه كما ورد بالعهد القديم!

سؤال: ما هي الأرض التي رأت الشمس مرة واحدة ولن تراها إلى آخر الزمان؟

جواب: قاع البحر الأحمر.

سؤال: من هي المرأة التي وُلِدت من رجل، والرجل الذي وُلِد من عذراء؟

جواب: حواء خلقت من ضلع آدم، والمسيح ولد من عذراء (وبما أن السائل يهودي فأي مسيح يقصد؟).

سؤال: ماذا يوجد تحت الأرض السابعة؟

جواب: ثور يقف على حجر أبيض، والحجر على جبل، وتحت الجبل أرض وبحار وسمك»[43]!

والكتاب الرابع «Epistola Saraceni & Rescriptum christiani» فقد ترجمه «بيتر الطليطلي Petrus Tholetanus، وبيتر الذي من بواتييه Petrus de Poitiers» وهو ترجمة لاتينية لكتاب «اعتذار أو اعتذاريات الكندي». وهذه أسئلة شخص مسيحي اسمه «عبد المسيح بن إسحق الكندي» وأجوبة مسلم يدعى عبد الله بن إسماعيل الهاشمي» يدعو صديقًا مسيحيًا له ليعتنق الإسلام يتلو ذلك بحث إنجيلي موسع يدافع النصراني فيها بحرارة عن عقيدة التثليث في الديانة المسيحية، ويهاجم فيها الإسلام بشدة، لدرجة أن معظم العلماء قد جادلوا بأن كلا الاسمين

[43] حسن معايرجي، الهيئة العالمية للقرآن الكريم، مطبعة الدوحة الحديثة، قطر، الدوحة، 1991، ص 48.

من صنع الخيال حيث أن هناك تقابلا تامًا بين الاسمين. كما أن الرسالة التي كتبها المسلم مكتوبة بالتأكيد من قبل نظيره المسيحي الذي حرر الرد المطوَّل. وعن هذا الكتاب قال حسن معايرجي: «وقد لاقت هذه الرسالة اهتمامًا كبيرًا من المنصرين، وترجمت إلى التركية والإنجليزية علاوة على اللاتينية. وهي كتاب من مسلم في عصر المأمون موجه إلى نصراني يدعوه فيها إلى الإسلام، ورد المسيحي عليه. ويُقال إن المأمون استمع إلى الرسالتين. ويُظنَّ أن الرسالتين من خيال المؤلف النصراني، وهو حوار مسيحي متطرف، طالما فرح به المنصرّون إلى أيامنا هذه»[44]. ويؤكد توماس بورمان نسبة هذا الكتاب لمسيحي مجهول من الشرق الأوسط [45].

أما الكتاب الخامس فقد ألفه بيتر الذي هو من بواتييه بعنوان: «اختصار كل البدع والنحلة الشيطانية للسراسان والإسماعيلية Summa totius haeresis Saracenorum»[46]، حيث يصف بيتر المعتقدات الإسلامية عن الله، ومحمد، والقرآن، واليوم الآخر، وكل ما يتعلق بهم ويدحضها بقوة.

والكتاب السادس ألفه بطرس المبجل بعنوان: «كتابٌ ضد عقيدة السراسانLiber contra sectam sive haeresi Saracenorum» ووضع في مقدمته رسالة إلى المفكر المسيحي الأبرز في ذلك العصر «برنارد كليرفو Bernard Clairvaux» ، تشرح بأنه قام بترجمة كل هذه الكتب حتى يُظهِر المفكرون النصارى خطأ الإسلام بشكل أفضل، دعا برنار أن يتقبل هذه المهمة كما فعل أوغسطين في عصره (بالتصدي لكل البدع)، لكن دعوته لم تجد صدى لدى برنارد. ولكن بالرغم من أن هذا العمل قد هاجم الإسلام بحماسة، فإنه مع ذلك قد عرّف بالإسلام بشكل كبير، وكان دليلًا يشرح طبيعة الإسلام وكيفية الرد عليه. كما ظل مؤثرًا لقرون في النصرانية في أوربا.

---

44 حسن معايرجي، الهيئة العالمية للقرآن الكريم، مطبعة الدوحة الحديثة، الدوحة، قطر 1991 ص 44.

45 Thomas E. Burman, *Reading the Qur'an in Latin Christendom 1140-1560*, University of Pennsylvania Press 2007 Page 15

46 السراسان والإسماعيلية تسميتان أطلقهما الصليبيون على المسلمين.

كما كتب بطرس المبجل رسالة أخرى لـ«بيرادوم كلارافاليّس» بعنوان: «Epistol Petri Cluniacensis ad Beradum Claravallis».

وقد أُطلق على مجموعة الكتب هذه تسميات عديدة أشهرها «المجموعة الطليطلية Corpus Toletanum أو Collection toletana». ولَكَ أن تسميها أيضًا «مجموعة بطرس المبجّل» لكن بعض الباحثين يفضل أن يطلق عليها «المجموعة الإسلامية اللاتينية Corpus Islamolatinum» وذلك لأن ترجمتها تمت في «وادي إبرو وليونValle del Ebro y Leon » ولم تتم في طليطلة وبالتالي لا تصح نسبتها إلى تلك المدينة.

وفي نهاية دراسة الدكتور حسن معايرجي المطولة للترجمة اللاتينية الأولى يقول: «وحفظت هذه المجموعة ومن ضمنها ترجمة القرآن الكريم بالصورة التي ذكرنا، في دير كلوني، ووضعت تحت تصرف الدارسين من الرهبان وبقيت سرًا بينهم لا يطّلع عليها غيرهم خشية التأثر بتعاليم القرآن الكريم، وظلت في صورة مخطوطة حوالي 400 سنة حتى اخترعت الطباعة»[47]. لكنه من الواضح من وجود ستٍ وعشرين مخطوطة من ترجمة روبرت كيتون عثر عليها في أماكن متفرقة من أوربا ومحفوظة في مكتباتها إلى اليوم، ومن ترجمتها للعديد من اللغات الأوربية، أن ترجمة القرآن الكريم لم تحبس في دير كلوني، وأن كلام الدكتور حسن معايرجي ينصرف إلى باقي كتب «المجموعة الطليطلية» باستثناء الترجمة.

قالوا عن هذه الترجمة:

لقد أجمع العلماء على رداءة هذه الترجمة فترى ذلك مبثوثًا في بطون الكتب كلما اقتربت من هذا الموضوع، ومما وقعت عليه يدي:

1) تضمنت مقدمة ترجمة خوان دي سغوفيا اللاتينية الثالثة المكتوبة عام 1456م

[47] حسن معايرجي، الهيئة العالمية للقرآن الكريم، مطبعة الدوحة الحديثة، الدوحة، قطر، 1991، ص 49.

نقدًا شديدًا وموسعًا للترجمة اللاتينية الأولى المعروفة بترجمة روبرت كيتون، وقد أخذ عليه أساسًا أنه لم يلتزم بأسماء السور ولا عددها ولا بترتيبها، كما يأخذ عليه أيضًا أنه ترك المعنى الواضح الجلي في القرآن وراح يسعى وراء ما هو مفهوم ضمنًا[48].

2) والمترجم الإنجليزي «جورج سيل George Sale (1697 - 1734م)» في الصفحة 31 من مقدمة ترجمته للقرآن الكريم الصادرة بالإنجليزية عام 1734م ، عن ترجمة روبرت كيتون والتي قرأها عبر طبعة بيبلياندر لها، قال: «هذا الكتاب لا يستحق اسم الترجمة. إن التجاوزات التي لا تعد ولا تحصى فيه لآداب السلوك واللياقة، إضافة إلى ما لا يعد من الأخطاء، بالحذف أو الإضافة، قد تركت بالكاد أي مشابهة مع النص الأصلي»[49]، وبنفس الكلمات تقريبًا وصف هذه الترجمة كل من: «لودفيكو مارّاتشي Ludovico Marracci (1612-1690م)» صاحب ترجمة عام 1698م اللاتينية البالغة الدقة والمستشرق «هادريان رينالد «Hadrian Reland (1676 - 1718).

3) وقال المستشرق الأمريكي «صمويل زويمر (1867-1952) Samuel Zwemer» عن ترجمة آندريا آريفابيني: إن هذه الترجمة خاطئة للغاية حيث إنها (مقتبسة) من الترجمة اللاتينية التي قام بها روبرت ريتيننسن»[50].

4) يقول الدكتور محمد مهر علي: « وحيث كان الهدف من وراء هذه الترجمة دحض القرآن فإنها مشوهة ومتحيزة إلى حد كبير، وشائبتها الرئيسية أنها ليست في الحقيقة ترجمة لمعاني القرآن الكريم، بل تعبير تفسيري وتأويلها عنها»[51].

---

48 http://www.sdb.org/ENG/Documenti/2013/pdf/_2_21_43_32_8_.pdf

49 ترجمة معاني القرآن الكريم والمستشرقون: لمحات تاريخية وتحليلية، أ.د. محمد مهر علي.

50 المرجع السابق نفسه.

51 المرجع السابق نفسه.

5) وينتقد عباس أرحيلة ترجمة روبرت كيتون بقوله: «هذه الترجمة أقرب إلى التلخيص الموسع (Paraphrase) منها إلى الترجمة، فهي لا تلتزم بالنص دقةً وحرفيةً، ولا تلتزم بترتيب الجملة في الأصل العربي، وإنما هي تستخلص المعنى العام في أجزاء السورة الواحدة، ثم تعبر عن هذا بترتيب من عند المترجم». وقد اجتهد كاتبها في إخراجها بصيغة لاتينية جزلة أنيقة ليوهم من يقرأها أنها نص مقدس مزور. كما كانت مليئة بحواشي ومقدمة عدائية متحيزة انصرفت للتهجم على الإسلام ورسوله (المزيف) وكتابه (المزور) وإظهار تفوق العقيدة المسيحية عليه[52].

6) وصف د. عبد الرحمن بدوي هذه الترجمة اللاتينية بأنها: «أقرب إلى التلخيص الموسع (Paraphrase) منها إلى الترجمة، فهي لا تلتزم بالنص دقةً وحرفيةً، ولا تلتزم بترتيب الجملة في الأصل العربي، وإنما هي تستخلص المعنى العام في أجزاء السورة الواحدة، ثم تعبر عن هذا بترتيب من عند المترجم»[53].

7) ويقول صاحب مقالة «القرآن الكريم في مجال الطبع والترجمة والنشر»: «ودقة هذه الترجمة وأمانتها جدّ نسبية، نظرًا للظروف السائدة آنذاك وللأشخاص الذين قاموا بتحقيقها، والروح التي كانوا متشبّعين بها»[54].

8) ويقول بلاشير: ولا تبدو الترجمة الطليطلية للقرآن بوجه من الوجوه أنها كانت ترجمة أمينة وكاملة للنص»[55].

9) ويقول عنها المستشرق أربري: «بالرغم من امتلاء هذه الترجمة بالأكاذيب وسوء الفهم فإنها كانت الأساس الذي قامت عليه الترجمات الأوربية المبكرة في الأسلوب الذي استخدمته» [56].

---

52 ترجمة القرآن إلى اللاتينية انطلاقة لحركة الاستشراق، د. عباس أرحيلة.

https://ia600603.us.archive.org/21/items/korancommonlycal01sale/korancommonlycal01sale.pdf

53 ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية انطلاقة لحركة الاستشراق، عباس أرحيلة.

54 مجلة «دعوة الحق» المغربية، العدد 155.

55 مراحل ترجمة القرآن الكريم، أنواعها أهدافها، أسباب أخطائها، د. محمد بهاء الدين حسن أحمد، ص13.

56 المرجع السابق نفسه ص 15.

10) ويقول عنها الدكتور محمد بهاء الدين حسين أحمد: « أما طبيعة هذه الترجمة وأثرها فقد كانت أثراً عملياً للعقيدة الصليبية المنبثقة عن رغبة شديدة في إزالة كل أثر للقرآن الكريم حتى من أذهان المسلمين أنفسهم، وكانت هذه الترجمة ترجمة خالية تماماً من الأمانة العلمية، وامتلأت بالتزييف والتحريف، وكثرت فيها الأخطاء، وتعددت فيها مواضع الإضافة والحذف، إنها لم تكن ترجمة أمينة وكاملة للنص» (٥٧).

11) وقد تبنى آنطوني بيم رأي علماء غربيين سابقين بأن "روبرت كيتون بترجمته لنص ديني لا خبرة له بموضوعه قد قام "بعمل رديء" على الرغم من أنه قد دُفع له بسخاء. وقد حذف العديد من مقاطع القرآن الكريم التي شكّلت له صعوبات أو كانت ذات هيكل شعري عمومًا. وما تبقى انتشر فيه التخمين (Alverny 1948) وما يسمى "إعادة الصياغة paraphrase" (Daniel 1966) [58].

12) هذا إضافة لما سبق وعرضناه من تقييم توماس بورمان لهذه الترجمة أثناء دراسته لنماذج منها، خلال هذه المقالة، وملخّصه أن روبرت كيتّون قد كتب نصًا آخر غير القرآن الكريم، غيّر فيه الكثير من النصوص والمعاني والمضامين، مما جعل ترجمته غريبةً وغيرَ أمينةً ولا دقيقة».

منهاج الترجمة:

بعد الاطلاع على ظروف هذه الترجمة، وعلى نماذج مختارة منها، وأقوال العلماء الغربيين الذين درسوها من أمثال: ماري تيريز دالفيرني، وجيمس كيرتزك، ونورمان دانيلز، وهارتموت بوبتسين، وجيمس بيم، وعلى كتاب توماس بورمان

---

57 المرجع السابق نفسه ص 15.

58 *Translatio, disputatio and the first Latin Qur'an*, Anthony Pym. Published as "The First Latin Qur'an, Disputation and the Second Person of a Translation", (= Koiné 5-6). 1995-96, 173-183.

«قراءة القرآن الكريم باللغة اللاتينية في العالم المسيحي» الذي اعتمد على مخطوطة مكتبة الآرسينال بباريس رقم 1162، التي تتضمن ترجمة روبرت كيتون للقرآن الكريم والمسماة Lex Mahumet، والتي تكتسب أهمية خاصة لاحتفاظها بجملة من الهوامش والحواشي لترجمة كتون، نستطيع بسهولة أن نستنتج من خلالهما أن المنهج الذي سار عليه فريق الترجمة كان كما يلي:

1) اعتبار أن القرآن الكريم هو كتاب العقيدةِ المقدس للأعداء، وأنه كتاب مزوَّر، ادّعاه رجل كذّاب، حاول أن يوهم الناس بأنه مقدس وموحى به من اللّه. وعليه فليس على المترجمين التقيد بنصه، ولا إيلائه أي قدسية أو احترام، بل إن واجبهم هو الرد عليه وتفنيده.

2) الالتزام بهدف إنشاء هذا الفريق وهو «حرب بالقلم تساند الحرب بالسيف» لهدم عقيدة العدو المسلم، وعليه فإن هذا العمل يختلف عما دأب عليه المترجمون في ترجمتهم للكتب العلمية التي تتوخى الدقة والأمانة وتلتزم بالنص.

3) تحاشي ترجمة نص القرآن الكريم نفسه. بل تأليف نص موازٍ شبيه به ثم ترجمته. وهذا ينبع من اعتقاد خاص بأن لنص القرآن «طلاسم سحريّة قوية» ومن خوف النصارى أن يمسكوا بأيديهم هذا الكتاب الذي رأوه مزعجًا وحافلاً بالأعاجيب والغرائب[59]. وإن هذا ليذكّرني بشهادة «الوليد بن المغيرة» عن بلاغة القرآن الكريم حيث قال رغم كفره:» إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وإنه ليعلو، ولا يعلى عليه».

4) كتابة ترجمة هذا النص «الجديد» أو «الموازي» بلغة لاتينية ممتازة، مع استعمال كل الأساليب البلاغية اللاتينية الممكنة لإخراجه في أجمل صورة ممكنة وأكثرها أناقةً، لإيهام القرّاء بأنهم يقرؤون بالفعل نص القرآن الكريم.

---

59 فرانسوا ديروش، القرآن وترجمته في الغرب، ترجمة الدكتور وليد بلهيش العمري، ندوة اليونسكو العالمية حول رؤية الحضارات بعضها لبعض، الذي انعقد بباريس في شهر ديسمبر 2001. يشرح ذلك بقوله: « إن التوسع السريع للمسلمين في القرن السابع، والصعوبات التي وُوجِهت في سبيل استعادة الأندلس، شجعت الغربيين على الاعتقاد بأن النص الذي ألهم أعداءهم، واستمدوا قوتهم منه، له طلاسم سحرية قوية. وساد هذا الاعتقاد فترة غير قصيرة. وهو سبب حرق المخطوطات العربية بعد سقوط آخر الإمارات الإسلامية في الأندلس».

5) كتابة حواشٍ وتعليقات للرد على (هذا) القرآن من وجهة نظر العقيدة الكنسية، ودحضٍ كل حجة للقرآن الكريم، ووصفه بالسخف والتهالك.

6) ترجمة وتأليف مجموعة من الكتب الإسلامية الأخرى – ضمن الأهداف نفسها- بغرض التعريف بكل المعلومات الضرورية عن الإسلام من وجهة نظر الكنيسة، ولاستكمال غسيل أدمغة القراء.

وقفة تفكر:

إن الإنسان ليعجب من هؤلاء المترجمين المحترفين، الذين يتقنون ترجمة الرياضيات، والهندسة، والجبر، والفلك، والطب، والفلسفة، والنبات والكيمياء، ويأتون بالمفردات المناسبة، ولا يضيعون معنىً أو إشارة، فإذا انتقلوا لترجمة نص القرآن الكريم تركوا أدواتهم كلها، وتحولوا إلى مزوِّرين ومشوِّهين، يتبنون أساليب "الحذف" و "التخمين" وإعادة الصياغة، حتى جاؤوا "بعمل رديء".

كيف قدّس هؤلاء المترجمون الذين يرتدون لباس القساوسة والرهبان، أي لباس العلماء والزهاد المنقطعين لعبادة الله عز وجلّ، كلام الرازي وابن رشد وابن سينا والبتّاني ولم يقدّسوا القرآن الكريم وهو كلام الله عز وجل الذي يؤمن به هؤلاء العلماء العظام؟

ألم يكن لدى هؤلاء المترجمين عقول يتفكرون بها أن الكتب التي يتهافتون على ترجمتها، والحضارة السامية التي أنتجتها، ما كان يمكن أن تتشكل وتظهر، لولا هذا الدين الذي جاء به القرآن، فحرر العقول، ونزع عنها القيود، وجعلها ترتاد آفاق العلم بلا حدود؟

إن تغطية الحقيقة وإظهار غيرها هي الكفر بعينه. وإن السُخَّام الذي أنتجه هذا التزوير، والذي حرصت عليه مؤسسة الكنيسة، قد ضلل الأوربيين وزاد في معاناتهم لمئات السنين، وحجب عنهم مفاهيم قرآنية كانوا بأمس الحاجة إليها،

كعبادة الله الواحد الأحد بلا وسيط أو شفيع، والحرية المتولدة عن عدم وجود مخلوق بين الله عزّ وجلّ والإنسان، والعدل، والمساواة بين البشر، وبر الوالدين، وحسن معاملة الضعفاء من العمال والخدم والعبيد، والشفقة على الأطفال والعجائز، والبِر، والتقوى، ومراقبة النفس، والتكافل، والإيثار، والإحسان، والصدق، والأمانة، والعفو، والتسامح، والرضا، والعطف، والحنان، والكرم، والتوافق مع مخلوقات الله كلّها.

خاتمة:

إن قسيسًا شابًا قد ظهر وقت احتدام الحروب الصليبية في الغرب والشرق معًا، جنّد الجنود لحرب المسلمين، ثم فكّر أن يقوم بحرب دعائية على العدو المسلم تؤازر الحرب بالسيف. فجمع فريقًا ترجم القرآن إلى اللغة اللاتينية بطريقة عدائية هجومية تحاشت الأمانة والدقة. فتبنّت الكنيسة هذه الترجمة دون غيرها، وثبتت عليها. فظلت هذه الترجمة اللاتينية الأولى مهيمنةً على العقل الأوربي دهورًا طويلة. ولم تفلح ترجمات عديدة منصفة للقرآن في الانتشار بين القراء في المجتمع الأوربي، بل إن بعضها أخفته الكنيسة قبل نشره، كترجمات «خوان دي سيغوفيا» و«دومينيك جيرمان دي سيسيليا» و«أنطوان غالان» و«هاينريش سيكِه» وغيرها.

وإن هذه الترجمة الرديئة وما أضيف إليها من صفات سيئة ألصقت برسول الله صلى الله عليه وسلم قد شكّلت جدارًا عاليًا من الكراهية حال دون النظرة الموضوعية للإسلام وأهله في أوربا حتى يومنا هذا. وقد آن الأوان أن تعرف هذه الحقيقة على نطاق واسع، وأن يعيد الأوربيون نظرتهم للإسلام. ومن جهة أخرى فعلى المسلمين أن يعذروا الغربيين الذين وقعوا ضحايا للأفكار التي صنعتها لهم الكنيسة في القرون الوسطى.

انتشار الإسلام في الأناضـــــــــــــول
دراسة تاريخية

أ. د. فاضل بيات

ملخّص البحث

في إطار الحملة الداعية إلى نشر الإسلام بين البشرية كلها، انطلق المسلمون من الجزيرة العربية، موطن الإسلام الأول، حاملين شعلة الإسلام ليضيئوا بها المعمورة كلها، وبدأت الفتوحات الإسلامية ضمن خطة رسم معالمها رسول الله محمد(ص) بنفسه، واقتدى به الخلفاء. وتوسعت الدولة الإسلامية شيئا فشيئا لتمتد من الصين شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا وأزاحت من طريقها الكيانات السياسية التي اعترضت سبيلها ليعم نور الإسلام وترفرف رايته فوق بيئات غير متجانسة من النواحي السياسية والاقتصادية والعرقية والاجتماعية والدينية، والتمّ شمل أقوامها في إطار دين عالمي يدعو إلى التآخي والمحبة والمساواة والتسامح، وينبذ كل أنواع التفرقة والتمييز العنصري والاضطهاد الطبقي التي تميّزت بها الأنظمة السياسية السابقة على الإسلام. وانهالت الجموع الغفيرة من الأهالي يرحبون بالفاتحين الجدد ويدخلون أفرادا وجماعات في الدين الجديد، بل ويشاركون إخوانهم العرب في نشر مبادئ الدين الحنيف.

وتتناول هذه الدراسة إحدى البيئات التي تشرفت بالإسلام وهي الأناضول (آسيا الصغرى). وهو موضوع لم يأخذ حقه المطلوب في البحث من قبل الباحثين العرب. وتتركز الدراسة حول الأوضاع العامة التي كانت سائدة في بلاد الأناضول قبل انضوائها تحت الحكم الاسلامي أي في العهد البيزنطي، والمحاولات العربية الإسلامية الأولى لنشر الإسلام فيها، وما آل إليه الأمر بعد فتح العرب المسلمين

* إرسيكا/ منظمة التعاون الاسلامي.

بلاد الشام، ثم الفتح السلجوقي للأناضول وما رافق ذلك من انتشار المسلمين فيها إثر معركة ملازكرد الخالدة، والتوسع الإسلامي فيها على حساب الدولة البيزنطية والحكومات الإسلامية المتعاقبة فيها، وموقف الحكام المسلمين من الأهالي، ودور العثمانيين في استكمال الفتوحات، والتعايش بين المسلمين والأهالي غير المسلمين فيها، ودور هجرات الأتراك المسلمين والطرق الصوفية والدعاة في تعزيز الوجود الإسلامي فيها.

مهيـــــــد

بلاد الأناضول شبه جزيرة تمثل الجزء الآسيوي من تركيا الحالية وتسمى أيضاً آسيا الصغرى. واستخدم هذا الاسم أي آسيا الصغرى لأول مرة في العهد البيزنطي ليشمل شبه الجزيرة الواقعة بين البحر الأسود والبحر المتوسط. وفي العصر الوسيط حلّ محله اسم (الأناضول) ليدل على منطقة إدارية محددة ولكن حدودها تغيّرت بمرور الزمن.[1] وتعد الأناضول أحد الأماكن التي ظهرت فيها باكورة الحضارات، وعاشت فيها أقوام مختلفة منذ أقدم العصور، وهي بمثابة جسر يربط الشرق بالغرب وقارة آسيا بقارة أوروبا. وقامت فيها دول وحضارات مختلفة، وتعرضت بشكل دائم إلى هجرات الأقوام المختلفة واحتلالها من قبلهم، ولهذا أصبحت مسرحاً للمعارك من أجل السيطرة عليها.

وكانت الأناضول تشكل أهم أجزاء الدولة البيزنطية وبخاصة بعد أن قرر الإمبراطور قسطنطين نقل عاصمته من روما إلى الشرق فازدهرت بلاد الأناضول واتسعت دائرة تجارتها وصناعتها وأقيمت فيها مدن كثيرة[2]. ونتيجة للحروب والمعارك التي وقعت بين بيزنطة وبين الفرس والعرب كان لا بد من وضع الأناضول في حالة دفاع متواصل لكونها قلب الإمبراطورية النابض، ولهذا أصبح من المألوف مرابطة ألوية معينة من الجند في أقاليم معينة منها وبشكل دائم.

---

1 Besim Darkot: Anadolu, *İslam Ansiklopedisi*, İstanbul, 1993, I: 428-429.

2 *Yeni Rehber Ansiklopedisi*, İstanbul, 1993, II: 150-151.

والمعروف أن معظم سكان الأناضول كانوا يدينون بالمسيحية، وقد انتشرت المسيحية فيها انتشاراً واسعاً بعد أن اعترف الإمبراطور قسطنطين في سنة323 بوضع الديانة المسيحية كإحدى الشرائع المصرح باعتناقها داخل الإمبراطورية، وقد رافق هذا التغيير نقل العاصمة من روما إلى الشرق (إلى القسطنطينية). وقد شهد عهد هذا الامبراطور صراعاً دينياً بين تيارات مختلفة وانقسمت المسيحية الناشئة على نفسها بين آريوسيين وأثناسيوسيين، وذلك بعد وفاة قسطنطين وبالتالي انقسم العالم الروماني إلى معسكرين. وذلك بعد التطور الذي أدى إلى انقسام في الكنيسة بين الشرق اليوناني والغرب اللاتيني. ومما يتعلق بالمسيحية في بلاد الشرق وبضمنها الأناضول نجد أن الكنيسة المسيحية أسلمت زمام أمرها للأباطرة الذين ازداد تدخلهم في شؤونها وبخاصة بين القرنين السادس والثامن الميلاديين، واصبحوا يتدخلون لا في سياسة الكنيسة الخارجية فحسب بل في نظامها وسياستها الداخلية أيضاً. حتى غدا إمبراطور القسطنطينية يمثل نوعاً من القيصرية البابوية بعد جمعه بين السلطتين السياسية والدينية[3]. وقد عانى المخالفون لهذا الأمر معاناة كبيرة من جراء ذلك وأدى إلى تذمرهم واستيائهم.

وكان سكان الأناضول خليطا من الإفرنجيين والحيثيين والغاليين والإيرانيين والساميين وكثير من التبعات الأخرى بنسب لا يمكن البت فيها. كما هاجر إلى الدولة البيزنطية الأرمن، ولكنهم لم يهاجروا قبائل كاملة إلا إذا اضطروا إلى ذلك، بل كان رحيلهم كأفراد مغامرين[4]. كما كان بين السكان، اليهود الذين لم يستطيعوا قط أن يندمجوا بمن حولهم بسبب ديانتهم، ولم يكونوا كثيري العدد، وكانت هناك مستقرات تتحدث باليونانية بآسية الصغرى، وكانوا فيما يظهر مكلفين بدفع ضرائب إضافية ومعرضين لألوان الاضطهاد بين وقت وآخر[5].

---

3 سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، القاهرة، 1972م، ص36-49.

4 ستيفن رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، 1993م، ، ص84-12، ص214-215.

5 م. ن، ص217-218.

وواجهت الدولة البيزنطية في القرن 12م هبوطاً خطيراً في أعداد الأحرار من سكان الإمبراطورية بسبب غارات المسلمين والمجر على أوروبا، فقامت بالتعويض عن ذلك بإسكان الأتراك والبشناق في أراضيها لإعمارها، وحررت العبيد، وأصبح الجيش في معظمه يتألف من المرتزقة[6]، كما قامت الدولة بمنح الأراضي الزراعية إلى أفراد قوات الحدود مقابل خدماتهم العسكرية، فأصبح هؤلاء يعتمدون في معاشهم على ما تنتجه أرضهم الزراعية، وفرض عليهم الإقامة في أراضيهم[7].

الأناضول بعد فتح المسلمين بلاد الشام :

أصبحت القسطنطينية في العهد البيزنطي من أهم المراكز التجارية بين الشرق والغرب وتفوقت على روما والإسكندرية، ووردت إليها البضائع التجارية المختلفة من الهند والصين وجنوب شرق آسيا وروسيا، إلا أن دعائم الرخاء الاقتصادي الذي كانت تتمتع به بيزنطة قد تقوضت بعد ظهور الإسلام وقيام المسلمين بتوجيه ضربة قاضية إلى نفوذها الاقتصادي في الشرق والجنوب وذلك باقتطاعهم من الإمبراطورية أغنى ولاياتها وأكثرها انتعاشاً ورقياً من الناحية الاقتصادية[8]. ونعني بها بلاد الشام ثم مصر، الأمر الذي أدى إلى أن تدخل بيزنطة والعالم الإسلامي في حالة حرب دائمية.

وبعد أن فتحت القوات الإسلامية بلاد الشام والجزيرة والقسم الشرقي من الأناضول وأذربيجان، استمر الصراع الإسلامي- البيزنطي على امتداد الحدود التي تفصل بينهما وعلى وجه الخصوص خط طرطوس – ملاطية – أرضروم حيث تمتد سلسلة جبال طوروس التي شكلت حدوداً طبيعية بينهما. وقد راودت خلفاء بني أمية فكرة فتح القسطنطينية منذ عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، وشنوا من أجل ذلك أكثر من حملة أشهرها حملة سليمان بن عبد

---

6 فهمي جدعان وآخرون، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، مسقط 1985م، ص175.

7 م. ن، ص174–175.

8 نورمان بينز : الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة، 1957م، ص373–374.

الملك، وفيها تمكن المسلمون من الاستيلاء على مدن كثيرة في الأناضول حتى عبروا البحر ووصلوا إلى أسوار القسطنطينية، وتبعهم أسطول المسلمين من الثغور الشامية والمصرية واشترك في حصار القسطنطينية. إلا أن هذه الحملة أخفقت ودمرت معظم سفن المسلمين بعد أن أصبحت عرضة للنار الإغريقية، كما أخفقت الحملات اللاحقة[9].

ولم تنقطع الحروب بين البيزنطيين والعرب المسلمين طيلة العصر الأموي وكذلك في العصر العباسي، وغلب على العمليات الحربية التي قام بها المسلمون في العصر العباسي ضد البيزنطيين الطابع البري نتيجة للضعف الذي لحق بالأسطول الإسلامي. وكانت هذه العمليات عبارة عن حملات موسمية تخترق الحدود البيزنطية في مختلف مواسم السنة عرفت بالصوائف والشواتي، أدت بالتالي إلى سيطرة المسلمين على الكثير من المدن والقلاع المهمة.

واهتم الخلفاء العباسيون بحماية الحدود البرية التي تفصل بين الجانبين بإنشاء وتحصين الكثير من القلاع الواقعة فيها، أطلق عليها اسم الثغور، وقد كوّن الخليفة هارون الرشيد (170هـ/ 786م- 193هـ/ 809م) خطاً دفاعياً آخر خلف مناطق الثغور سمي بالعواصم[10]. وكانت مناطق الثغور والعواصم يتم شحنها دائماً بالمقاتلة وترميمها كلما تضعضعت وتزويدها بالاحتياجات الضرورية، وذلك لمواجهة الغارات البيزنطية والرد عليها والمحافظة على المكتسبات التي حققتها القوات الإسلامية[11]، وكان الحكام والأغنياء المسلمون يقيمون فيها مؤسسات عسكرية ودينية وخيرية ويوقفون عليها أوقافاً، كما كان رجال العلم والدين

---

9 الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ط3، بيروت، 1991م، 4: 44، 48-49، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، 1: 211، 262.

10 البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر: البلدان، فتوحها وأحكامها، تحقيق سهيل زكار، بيروت، 1992م، ص192. أحمد عبد الكريم سليمان، المسلمون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط، القاهرة، 198، ص30-35.

F. Taeschner, Anadolu, Encyclopaedia of Islam, New Edition, Leiden, 1986, I: 466.

11 Ali Sevim: *Anadolu'nun Fethi*,Ankara,35-36.

يفدون إليها ويسعون إلى تعزيز روح الجهاد والثقافة الإسلامية[12].

وعلى الرغم من استمرار المعارك بين المسلمين وبيزنطة واشتراك بعض الخلفاء العباسيين أو بعض أباطرة بيزنطة فيها وتحول مركز القوة بين حين وآخر لصالح أحد الطرفين، إلا أن ذلك لم يحسم الموقف، وانتهت معظم المعارك بعقد الهدن بين الطرفين، غير أن هذه الهدن لم تكن تستمر طويلاً فتنشب المعارك من جديد بينهما[13].

والظاهر أن مقاومة البيزنطيين وتوفر الموانع الطبيعية وكثرة المواضع والقلاع المنيعة التي أقامتها بيزنطة حالت دون فتح المسلمين الأناضول، الأمر الذي أدى إلى انحصار المعارك بين الطرفين في المناطق الحدودية[14] فبقيت سلسلة جبال طوروس الحد الفاصل بين المسلمين والبيزنطيين. واستمر التوتر قائماً في العلاقات الإسلامية – البيزنطية إلى أن صعد السلاجقة الأتراك على مسرح التاريخ فغيروا الموازين لصالح المسلمين وجعلوا الأناضول جزءًا من العالم الإسلامي بعد أن نشروا الإسلام في أرجائها المختلفة.

ومما يجدر ذكره أن الإدارة البيزنطية قبيل الفتح السلجوقي للأناضول لم تتمكن من أن تخلص نفسها من المؤامرات التي كانت تعصف بالعاصمة القسطنطينية ومن الصراعات الحزبية العسكرية – المدنية ومن الخلافات الكنسية، فلم تكن تجد وقتاً كافياً للتفرغ لشؤون الأناضول وأن تتخذ إجراء مؤثراً في هذه الخصوص. وأصبحت أراضي الأناضول من شرقها إلى غربها عرضة لغزوات الأقوام التركية. وقام ملاك الأراضي الكبيرة بالاستيلاء على أراضي القرى التي جلا عنها أصحابها وتولوا إدارتها. ولم يكن الأهالي في وضع يحسد عليه، ولا سيما الأرمن والسريان الذين كانوا يكنون عداءً للروم، إذ كانوا يتعرضون إلى

---

12 Osman Turan: *Selçuklular Devrinde Türkiye*, İstanbul, 1971, XVI.

13 حسن إبراهيم حسن : 2: 1908–204، 238–247، إحسان عباس، تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي، عمان، 1992م، ص 79–92.

14 Osman Turan: *Selçuklular Devrinde...* XVI, E.I2, I: 466.

الاضطهاد بسبب اختلاف مذهبهم. وفضلاً عن هذا كان الأهالي بشكل عام يشعرون بالإحباط تجاه السياسة التعسفية واللامبالاة من قبل الدولة إزاء الأقاليم المختلفة وأصبحوا في حالة يرثى لها بعد ازدياد أعمال الغزو والنهب والاغتصاب التي كانوا يتعرضون إليها بشكل متواصل[15].

الفتح السلجوقي للأناضول وانتشار الإسلام فيها :

يرتبط انتشار الإسلام في الأناضول بالتطورات التي حدثت في شرقي العالم الإسلامي في النصف الأول من القرن الخامس الهجري (11م) والمتمثلة بظهور السلاجقة(الأتراك المسلمين) كقوة عسكرية سياسية استطاعت في غضون فترة قصيرة إقامة دولة مترامية الأطراف والتوسع على حساب الدول الواقعة في مشرق العالم الإسلامي.

وكان السلاجقة قبيل تأسيس دولتهم تحت إمرة الأخوين طغرل وجغري، يعانون من الضغوط التي تمارسها عليهم الدولتان القره خانية والغزنوية في منطقة ما وراء النهر، ولهذا قرر الأخوان القيام بحملة استطلاعية لإيجاد مناطق أكثر ملائمة لهم. فانطلق جغري بك على رأس ثلاثة آلاف من المقاتلين الفرسان نحو الأناضول، ووصل إلى بحيرة وان وألحق الهزيمة بالقوات الأرمينية في هذه المنطقة ثم توجه إلى الشمال وتقدم نحو منطقة نخجوان وانتصر على قوات مملكة آني الأرمينية، الأمر الذي أدى إلى ترك قسم من الأرمن ديارهم والهجرة نحو أواسط الأناضول. وعلى الرغم من هذه الانتصارات، لم يبق جغري بك في هذه المناطق التي كانت تابعة للكرج والأرمن، بل قفل راجعاً إلى ما وراء النهر. وبعد هذه الحملة استمرت الغزوات التركية على بلاد الأناضول، إلا أنها اشتدت بعد أن نال السلاجقة استقلالهم إثر معركة دندنقان في سنة 432هـ/ 1040م حيث انتصروا على الغزنويين، وبدؤوا بفتحها وفق خطة منظمة.

والمعروف أن كلاً من خراسان وأذربيجان ضاقت كثيراً من الجموع الهائلة

[15] Nejat Kaymaz; *Malazgirt Savaşı ile Andolu'nun Fethi ve Türkleşmesi*, Malazgirt Armağanı, 1993.

للأتراك الذين اعتنقوا الإسلام مؤخراً، إذ كانت الدولة السلجوقية تعاني من تأمين احتياجات السكان وكذلك إيجاد مراعي مناسبة لمواشيهم وأخيراً توفير الأمن والنظام، ولهذا لم تجد الدولة بداً من نقلهم إلى مكان مناسب. ورأى السلاجقة أن أنسب مكان لهؤلاء في ذلك الوقت هو الأناضول، وبهذا تكون الدولة قد أدت مهمة الجهاد والفتوح ضد بيزنطة. وقبيل سنة 463هـ/1071م حيث وقعت معركة ملازكرد قام المجاهدون الأتراك بشن غارات متواصلة على شرق وجنوب شرق الأناضول، وكانت الأقاليم الشرقية للأناضول ضعيفة إلى درجة لم يكن بمقدورها مقاومة الغزوات التركية[16].

وفي عهد السلطان السلجوقي طغرلبك تقدمت جموع غفيرة من الغز- التركمان، أتباع السلاجقة، إلى وان وأرضروم، كما قامت مجموعة أخرى بالتقدم نحو ديار بكر ووصلت حتى ميافارقين وماردين وجزيرة ابن عمر. وخاض السلاجقة معركتين مع القوات البيزنطية (438هـ/ 1045م- 441هـ/ 1048م)، وتقدم طغرلبك حتى أرضروم وأخضع هذه المناطق تحت نفوذه.. وواصل السلاجقة غاراتهم على الأناضول وتمكنوا من إخضاع المنطقة حتى مدينة سيواس بعد أن تغلبوا على القوات البيزنطية. وواصل السلطان آلب أرسلان خليفة طغرلبك العمليات العسكرية ضد البيزنطيين، واستولى في سنة 456هـ/ 1064م على مدينة آني الاستراتيجية التي كانت مركزاً لإمارة أرمينية خاضعة لبيزنطة[17].

وتمخضت العمليات العسكرية التي حققها السلاجقة في الأناضول قبل معركة ملازكرد عن سيطرتهم على أجزاء واسعة من المنطقة الشرقية من الأناضول، وأصبحت تهدد البيزنطيين في عقر دارهم، ولأجل إيقاف المد السلجوقي في المنطقة وإخراجهم عنها توجه الإمبراطور البيزنطي رومانوس ديوجينس (رومن ديوجين)

---

16 عن حملات السلاجقة إلى الأناضول وفتوحاتهم الأولى فيها، يراجع:

Ali Sevim Ve Yaşar Yücel: Türkiye Tarihi, Fetih, Selçuklu ve Beylikler Dönemi (T.T.K), Ankara, 1989, 27-48, Ahmet Yaşar Ocak: Anadolu'nun Türkleşmesi. ve İslamlaşmasi, Türikiye Diyanet Vakfi- İslam Ansiklopedisi, İstanbul 1991, III:110.

سنشير إلى هذه الموسوعة في الهوامش اللاحقة بشكل: TDV. İA

17 Osman Turan : Selçuklular Tarihi,İstanbul,1969,79-85.

على رأس قوة عسكرية كبيرة نحو ملازكرد في شرق الأناضول، واشتبك مع القوات السلجوقية التي كانت بقيادة السلطان ألب أرسلان، وذلك في المعركة التي اشتهرت باسم معركة ملازكرد، وتمكن السلاجقة من إلحاق هزيمة منكرة بالبيزنطيين، ودمروا قواتهم التي كانت تفوق قواتهم من حيث العدد والعدة ووقع الإمبراطور البيزنطي نفسه أسيراً بيد السلاجقة (463هـ/1071م). وعامل السلطان ألب أرسلان الإمبراطور البيزنطي معاملة حسنة، ثم أطلق سراحه مع قواده بعد أن عقد معه معاهدة صلح، تعهد بموجبها الإمبراطور دفع جزية سنوية إلى السلاجقة وإطلاق سراح جميع المسلمين، وترك مدن وقلاع إنطاكية وأورفه(الرها أو اوديسة) وماردين بيد السلاجقة[18].

والحقيقة أن معركة ملازكرد تعد حدثاً مهماً يشكل إحدى نقاط التحول في تاريخ المسلمين والعالم. وقد شبهها الكثير من المؤرخين بمعركتي اليرموك والقادسية العظيمتين اللتين أمنتا سيطرة المسلمين على آسيا والبحر المتوسط بشكل قطعي، وبهذه المعركة تحطمت مقاومة البيزنطيين ولم يبق أمام الأتراك المسلمين جيش يردعهم، الأمر الذي أدى إلى توغلهم إلى أعماق الأناضول وانتشارهم فيها، ومن ثم اجتيازهم منها إلى البلقان. ولم يمر وقت طويل على هذا الفتح حتى أقيمت إمارات ودول تركية متعددة في الأناضول، كان لها أبلغ الأثر في جعل الأناضول موطناً جديداً للأتراك المسلمين. وقد أدى هذا الأمر إلى تقلص عدد الروم والأرمن والكرج أمام أعداد الأتراك المتزايدة[19]، ففي الربع الأخير من القرن الحادي عشر أرسى الأمير السلجوقي سليمانشاه بن قتلمش دعائم أول دولة تركية إسلامية في أراضي الأناضول وهي دولة سلاجقة الأناضول أو الروم (470هـ/ 1077م _ 707هـ/ 1307م)، كما أقيمت في الوقت نفسه إمارات تركية أخرى في شرق وغرب الأناضول مثل : الدانشمندية وبني سلتوق وبني منكوجك وبني أرتق. وبهذا

---

18 عن معركة ملازكرد يراجع: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، 1987م، ج8، ص 388-389. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان (الحوادث الخاصة بتاريخ السلاجقة)، نشر علي سويم، أنقرة، 1968م، ص 147-152.

İbrahim Kafesoğlu, Malazgirt Muharebesi, *İslam Ansiklopedisi*, İstanbul, 1992, 242-248.

19 Osman Turan: *Selçuklular Tarihi*, 211, Ali Sevim: *Anadolu'nun Fethi*, 95-97.

بدأت فترة أسلمة الأناضول بشكل فعلي. فالدول والإمارات المذكورة كانت تسعى إلى تعزيز قوتها السياسية والاقتصادية في الأماكن الواقعة تحت نفوذها، كما كانت تواصل جهادها ضد بيزنطة والدول المجاورة غير الإسلامية، وتسعى في الوقت نفسه إلى جعل أراضي الأناضول موطناً للأتراك المسلمين[20].

وعلى الرغم من هذا فإن المواجهات العسكرية بين السلاجقة والبيزنطيين لم تنته بل ازدادت ولكن على شكل عمليات محدودة. إلا أن انتصارات السلاجقة هذه والتي تمثل جزء منها في توسع السلاجقة في الأناضول على حساب الدولة البيزنطية أيقظت أوروبا أمام الخطر الذي يهدد كيانها، فسعت إلى إيقاف المد السلجوقي الإسلامي ورفعت شعار تحرير بيت المقدس والأراضي المقدسة من سيطرة المسلمين فبدأت بحروبها التي اشتهرت في التاريخ بالحروب الصليبية (489هـ/1096م 690-هـ/1291م).

وعلى الرغم من بعض الانتصارات التي حققها الصليبيون في هذه الحروب والسيطرة على بعض الأماكن في الأناضول وبلاد الشام، إلا أن ذلك وكما هو معروف لم يتمكن من تغيير الوضع وقلب ميزان القوى لصالح الصليبيين إلى الأبد[21]، إذ لم يمض وقت طويل حتى أصبحت كل الأناضول أراضي إسلامية، وموطناً جديداً للأتراك المسلمين.

الغزو المغولي للأناضول:

وفي أواخر العهد السلجوقي غزا المغول أراضي الأناضول، ولم يتمكن السلاجقة من صدهم بل تعرضوا إلى هزيمة منكرة أمامهم في معركة كوسه داغ (641هـ/1243م). وكانت هذه المعركة إيذاناً بسقوط دولتهم. وعلى الرغم من أن سلاطين السلاجقة استمروا في حكمهم، إلا أنهم أصبحوا خاضعين إلى المغول

---

20 TDV. İA, III:111

21 Osman Turan: *Selçuklular Devrinde Türkiye*, 42,وما بعدها, Türkiye, *Meydan Larousse*, İstanbul 1992, XIX: 497.

واتسموا بالضعف، وغدا الحكم الفعلي للبلاد بيد القادة المغول. وإثر هذا أعلن الأمراء السلاجقة في الثغور استقلالهم وانضم إليهم الكثير من رجالات الدولة السلجوقية المشتتة، كما انضم إليهم الكثير من الشيوخ والدراويش المجاهدين الذين قصدوا الأناضول من إيران وتركستان إثر الغزو المغولي لهذه البلدان وشملوا برعاية الأمراء في الثغور. واكتسبت الغزوات الجديدة التي كانت تشن ضد بيزنطة بعداً جديداً وذلك باشتراك هؤلاء الدراويش فيها. وكانت بيزنطة تعاني في هذه الفترة من الضعف والصراع على العرش والفتن الداخلية، ولهذا لم تستطع المدن البيزنطية المتاخمة للإمارات من صد هجمات السلاجقة، فنجحت المجاميع التركية المسلمة في الانتشار في المنطقة الغربية من الأناضول على حساب بيزنطة والاستقرار فيها، وفي ظل هذه الظروف تأسست معظم الإمارات السلجوقية على أنقاض الدولة السلجوقية، وكانت الإمارة العثمانية تشكل أهم هذه الإمارات. وعانت هذه الإمارات من سيطرة المغول على الأناضول ولم تتنفس الصعداء إلا بعد خروجهم منها[22].

ومما يجدر ذكره أن المغول عند سيطرتهم على الأناضول لم يعتنقوا بعدُ الدين الإسلامي، وكانوا يدعمون الأهالي النصارى ويقدمون لهم بعض الامتيازات الدينية، إلا أن هذا الأمر كان لدوافع سياسية فقط. إذ كان المغول يعاملون النصارى معاملة حسنة وذلك من أجل تحطيم نفوذ السلاجقة. وقد لفت هذا الأمر انتباه العالم الغربي المسيحي، ولهذا سعى المبشرون الكاثوليك إلى العمل على تنصير المغول. إلا أن محاولاتهم لم تثمر بشيء، إذ اختار المغول الإسلام ديناً لهم. ففي سنة 695هـ/ 1296م أي بعد حوالي نصف قرن من سيطرتهم على الأناضول،اعتنق الملك الأيلخاني (المغولي) غازان[23] الإسلام، وأعطى إسلامه

---

22 Meydan Larousse, I: 483-484.

23 غازان: السلطان الإيلخاني المغولي (694هـ/1295م703-هـ/1304)، اعتنق الإسلام قبل تقلده العرش بتأثير من قائده نوروز (1295)، وبعد اعتلائه العرش اتخذ من الإسلام ديناً رسمياً للدولة، وأقام جوامع ومؤسسات خيرية ومدارس كثيرة، أولى اهتماماً كبيراً بالعلوم الطبيعية والفلك والفنون اليدوية والتاريخ والطب والكيمياء، وكان يمتلك معلومات تاريخية واسعة فاستعان به المؤرخ الفارسي رشيد الدين في كتابة مؤلفه (تاريخ قازان)، انظر: W. Barthold, Ghazan, Meydan Larousse ,VII: 419. E.I. 2 II: 1043.

زخماً لأسلمة الأناضول من جديد. كما أن الأقوام المغولية الرحل في الأناضول أصبحوا يعتنقون الإسلام وذلك بفضل أصحاب الطرق الدينية التركمانية، وقد استقر هؤلاء إثر ذلك، في الأراضي المفتوحة من الاناضول[24].

وعلى الرغم من سيطرة المغول على أراض واسعة من الأناضول، إلا أن نفوذهم لم يشمل أراضي الأمراء التركمان ولا سيما المرابطين في الحدود البيزنطية، إذ كانت إماراتهم تتمتع بنوع من الإدارة الذاتية في أراضيهم التي فتحوها بمجهوداتهم الذاتية. وكانت هذه الإمارات، وبخاصة إمارات آيدين ومنتشه وبني عثمان تتوسع بحدودها على حساب الدولة البيزنطية حتى تقلصت الممتلكات البيزنطية في الأناضول وانحصرت في الحوض الجنوبي لبحر مرمرة وذلك عند حلول أواخر القرن الثالث عشر الميلادي[25].

هجرات الأتراك المسلمين إلى الأناضول :

كان من أهم آثار معركة ملازكرد – كما ذكرنا- فتح أبواب الأناضول أمام الأتراك المسلمين للانتشار فيها واستيطان أراضيها، وكانت الدولة السلجوقية تشجع الهجرة إلى الأناضول، ولهذا أقبل الكثير من الأقوام التركية وعلى رأسها زعماؤها بالانتقال إلى هذه البلاد المفتوحة، وقامت الدولة، التي كانت في حرب مستمرة مع البيزنطيين، بتوطينهم في المناطق الحدودية أي الثغور، وذلك من أجل تأمين الأمن والنظام في حدودها الغربية، وكان السكان الجدد في الثغور يحافظون على عاداتهم القومية ولا يخضعون خضوعاً كلياً للسلطة المركزية

ومما يجدر ذكره أن محمود غازان لم يكن أول سلطان ايلخاني يعتنق الإسلام ،بل سبقه في ذلك السلطان تكودار الذي تولى الحكم سنة 1282م. وكان يدين في البداية بالمسيحية، وبعد اعتلائه العرش اعتنق الإسلام، إلا انه لقي معارضة شديدة من قبل رجالات الدولة. وانتهت حياته اثر التمرد الذي حصل عليه من قبل أسرته (1284)، ولم يتمكن من نشر الإسلام بين الايلخانيين. انظر :I:183 Meydan Larousse

24 TDV. İA: III: 111-112.

25 Ibid, III: 112.

السلجوقية. وكانوا يقومون بمهمة صد هجمات العدو والتوغل في الأراضي البيزنطية والإغارة عليها. وكانت المناوشات الحدودية لا تنقطع بين هؤلاء وبين البيزنطيين[26]، فلا غرو إذن أن يشكل «الجهاد» الوظيفة الأساسية لسكان الثغور الذين كانوا يعيشون حالة حرب دائمية. وكانت مناطق الثغور تضم حوالي مائتي مدينة وقصبة وقلعة، وتقدر نفوسها ببضعة ملايين، وكان يخرج منها دائماً ما يقارب من مائة ألف مقاتل للحروب. وكانت الهجرات مستمرة إلى هذه المناطق، وكان الزهاد والمتصوفة يقصدون الثغور من كل الأرجاء لأداء فريضة الجهاد في سبيل الله. وكان القسم الأعظم من المجاهدين والمرابطين في الثغور قدموا من أرجاء خراسان وتركستان وذلك بدءاً من القرن التاسع[27].

وكانت الأراضي الواقعة في مناطق الثغور يتم توزيعها على الجند في الثغور وفق الشريعة الإسلامية، وتنتقل بعد وفاة أصحابها إلى أبنائهم بالوراثة[28].

وتعزز الوجود الإسلامي في الأناضول بالهجرات التركية الجديدة إلى الأناضول ولا سيما بالمهاجرين الذين كانوا يتدفقون إلى الأناضول تحت ضغط الحملات العسكرية المغولية وذلك بدءا من سنة 617هـ/1220م، وكان يتم إسكان هؤلاء في الثغور الغربية للأناضول[29]. وفضلاً عن كل ذلك شهدت منطقة الثغور كذلك هجرة داخلية بعد أن سيطر المغول على شرق ووسط الأناضول، فانتقل الكثير من السكان إلى هذه المناطق، وتولى الأمراء التركمان إسكانهم في القرى والنواحي التي يتم فتحها[30].

---

26 Ali Sevim ve Yaşar Yücel, 18.

27 M.H. Yinanc, *Türkiye Tarihi, Selçuklular Devri* İstanbul, 1944, 26-27, Mehmet Şeker, *Fetihlerle Anadolu'nun Türkleşmesi ve İslamlaşması*, Ankara, 1997, 76-77.

28 *Fetihlerle Anadolu'nun Türkleşmesi*, 78.

29 Ali Sevim ve Yaşar Yücel, 19

30 TDV. İA. III: 112.

الحركات الصوفية والدعاة في الأناضول:

وفضلاً عن الدور الكبير الذي لعبته الهجرات التركية المستمرة في أسلمة الأناضول، فإن أنشطة المتصوفة في هذا المجال لم تكن أقل شأنا فيها، إذ كان لهم دور فعال في استكمال الفتوحات بتقديمهم مقاتلين منظمين إلى الجيوش الإسلامية وكذلك في نشر وتعزيز الإسلام فيها، فكانوا يحاربون «الكفار» بمريديهم ويستولون على قلاعهم. ويحولون الأناضول بدراويشهم إلى ميدان جهاد حقيقي، وفضلاً عن هذا انتشر هؤلاء الدراويش الذين قدموا إلى الأناضول، في مختلف أرجائها، وقاموا بتعليم الأتراك مبادئ الدين الإسلامي وبشحنهم روح « الجهاد في سبيل الله»[31] فأصبحوا بذلك دعاة. كما أخذوا على عاتقهم وظائف مختلفة في المدن المفتوحة حديثاً، فعند سقوط إحدى المدن البيزنطية بأيدي المسلمين كان يتم رفع الأذان من على قلعتها، وفي أول يوم جمعة، يتم أداء الصلاة في حفل مهيب، ويذكر اسم السلطان في الخطبة ويقدم الشكر لله الذي أنعم عليهم هذا النصر. كما يُباشر ببناء التكايا لهؤلاء الدراويش المجاهدين الذين تحقق فتح المدينة بفضلهم، كما تقام الجوامع والمدارس والمستشفيات وخانات المسافرين والعمارات (مؤسسة خيرية لتقديم الطعام مجانا للناس) والسبل والطرق والجسور[32]. وقد تلقى هؤلاء الدراويش دعماً كبيراً من الأهالي الذين التفوا حولهم ووجدوا الأمان عندهم لما كانوا يعانون من أزمات اقتصادية واجتماعية وما رافقها من مآس وفقر[33].

وكانت الظروف مواتية لهؤلاء الدراويش المتصوفة والشيوخ لإقامة حركة صوفية قوية في الأناضول، وقد وفد هؤلاء الدراويش من مختلف أرجاء العالم الإسلامي كأواسط آسيا وإيران والعراق وسورية ومصر فضلاً عن أن قسماً منهم نشؤوا في داخل الأناضول. وكان قسم منهم من مريدي أحمد يسوي الذي انتشرت طريقته

---

31 O.L. Barkan, "Osmanlı İmparatorluğunda Bir İskan ve Kolonizasyon Metodu Olarak Sürgünler", *İstanbul Üniversitesi İktisat Fakültesi Mecmuası*, XI,1-4,1949-1950, p. 537, *Fetihlerle Anadolu'nun Türkleşmesi*, 121-127

32 *Fetihlerle Anadolu'nun Türkleşmesi*, 128.

33 Ibid, 113.

في أواسط آسيا[34]، كما أن عدداً كبيراً من مريدي «نجم كبرى» تدفقوا إلى الأناضول بعد أن كانوا في خوارزم وتوجهوا منها خلال الاحتلال المغولي إلى خراسان ثم إلى الأناضول[35]. وإزاء هذا التدفق الكبير للمتصوفة شهد التصوف أزهى عهوده في الأناضول في القرن 13م حيث قام الكثير من المتصوفة المرتبطين بالطرق الدينية المختلفة بنشر التصوف منهم على سبيل المثال: أوحد الدين حامد الكرماني[36] المنسوب إلى الطريقة السهروردية[37] ومحي الدين ابن عربي[38]

---

34 Fuat Köprülü, *Türk Edebiyatında İlk Mutasavvıflar*, Ankara 1961, 171, *Fetihlerle Anadolu'nun Türkleşmesi* 108.

أما أحمد يسوي(ت 1166) فقد نشأ في بخارى وأسس طريقة دينية سميت باسمه وانتشرت في مناطق واسعة من آسيا الوسطى ووجدت طريقها إلى الأناضول في القرن الثالث عشر الميلادي. وكان لها أكبر الأثر على الطرق التي تأسست في الأناضول فيما بعد كالحيدرية والبهائية والبكتاشية. ويعود سبب انتشار اليسوية بين الأتراك إلى وجود جوانب في آدابها ومعتقداتها تنسجم مع الثقافة القومية للأتراك وعاداتهم وتقاليدهم.

F. İZ, Ahmad Yasawi, E.I2. I:298-299. *Meydan Larousse* I:184-185.

35 *Fetihlerle Anadolu'nun Türkleşmesi*, 109.

ونجم كبرى: هو مؤسس الطريقة الكبروية (1145–1226) نشأ في خوارزم ورحل إلى مصر ثم إلى تبريز. وبعد عودته إلى موطنه أسس تكية وبدأ بنشر آرائه في التصوف بين المحيطين به، وذاع صيته خلال فترة قصيرة، ترك آثاراً عديدة في التصوف.

Meydan Larousse, XIV: 430, *Evliyalar Ansiklopedisi*, İstanbul , 1992, IX: 310-313.

36 أوحد الدين كرماني أو أوحدي كرماني (ت 1213) هو شاعر ومتصوف إيراني ،تلقى تعليمه في بغداد ، واشتهر في مجال التصوف وكان له أثر كبير في انتشار طريقة « الخلوتية» بين الأتراك في القرن الثالث عشر الميلادي، له ديوان منتظم ومثوي 463 :Meydan Larousse, VI.

37 الطريقة السهروردية: نسبة إلى عبد القادر السهروردي (ت1168) وشهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي (ت 1234). وهي إحدى فروع طريقة القادرية الصوفية. وانتشرت في بغداد وأفغانستان والهند ، ولها ستة فروع هي : الجلالية، الجمالية، الخلوتية، الروشنية، الصفوية والزينية.

F. Sobieroj: Suhrawardiyya, E I2, IX : 784-786, *Meydan Larousse* XVIII:384.

38 محي الدين ابن عربي: المتصوف الإسلامي المشهور (1162–1240) ولد في مرسية بالأندلس وتوفي في دمشق، تتلمذ على مشاهير علماء عصره في الأندلس. ترك موطنه واستقر في الأناضول وشمل برعاية السلطان السلجوقي قليج ارسلان في قونية. انظر: فير، ابن عربي، دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة، 1: 231–237.

Ahmet Ateş, Muhyiddin Arabî, *İslam Ansiklopedisi*, İstanbul , 1993,VIII: 533-555; Evliyalar Ansiklopedisi, IX: 157-172.

وصدر الدين القنوي[39] ومولانا جلال الدين الرومي[40] الذي طغت شهرته الآفاق. فضلاً عن فخر الدين بن إبراهيم العراقي[41] الذي قصد الأناضول وقام بنشاطات صوفية فيها. ويضاف إلى هؤلاء كذلك الحاج بكتاش ولي[42] الذي أسس طريقة دينية كان لها نفوذ كبير في مختلف أرجاء الأناضول في القرن الثالث عشر، كما غدا الشاعر التركي المشهور يونس أمره(٤٣) من أهم أعلام المتصوفة في

---

39 صدر الدين القنوي: المتصوف التركي (1210-1274) لا يعرف الكثير عن نشأته ويقال أنه درس على يد محي الدين ابن عربي الذي تزوج من أمه، كما يروى أنه رحل إلى الشام ولازم المتصوف المشهور أوحد الدين كرماني وأخذ منه مبادئ التصوف، وتأثر بابن عربي وتبنى أفكاره وترك آثاراً مختلفة في التصوف. *Meydan Larousse*, XVII: 180.

40 جلال الدين الرومي أو مولانا جلال الدين الرومي: المتصوف المشهور (ولد في بلخ سنة 1207 وتوفي في قونية سنة 1273). كان والده من مشاهير علماء عصره، وزار كلاً من بغداد ومكة ودمشق وملاطية وأرزنجان قبل أن يستقر في قونية ليعمل مدرساً فيها إلى أن توفي (628هـ/ 1230-1231م)، فخلفه جلال الدين، وتأثر جلال الدين بالمتصوف المشهور شمس الدين تبريزي بعد لقائه به في قونية، وأصبح له عليه سلطان عظيم، وإثر هذا اللقاء انصرف جلال الدين عن دراسة العلوم وانقطع للتصوف وأصبح رائداً لطريقة المولوية (الدراويش الراقصون). ترك مؤلفات عديدة يأتي على رأسها (المثنوي) وهو ملحمة شعرية في ستة كتب تناول فيها المذاهب الصوفية وتفسيرها. وله أيضاً ديوان شعر، انظر: كارادە فو، جلال الدين الرومي، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، القاهرة، ج7، ص 60-63.

Yeni Rehber Ansiklopedisi, XIV : 79-81

41 فخر الدين العراقي: العالم والمتصوف والشاعر (همدان -1209 دمشق 1289)، تتلمذ على المتصوف الشيخ شهاب الدين السهروردي، ودخل في خدمته، عاش ردحاً من الزمن في الهند حيث صاحب الشيخ بهاء الدين زكريا، وفي أواخر عمره قصد قونية وأصبح مصاحباً لصدر الدين القونوي ثم غادر إلى مصر فالشام حيث توفي. له كتاب اللمعات والديوان الكبير.

Evliyalar Ansiklopedisi, VI: 114-115.

42 الحاج بكتاش ولي: المتصوف والشاعر التركي ذائع الصيت (ت 1429)، بدأ حياته العملية مدرساً في أنقرة ثم بورصة، رحل إلى آق سراي حيث دخل في خدمة المتصوف المشهور حامد ولي. وبعد وفاة شيخه بدأ بتدوين افكاره وتلقين آرائه المتعلقة بالتصوف بمريديه الذين التفوا حوله. وفي غضون فترة قصيرة ذاع صيته في الأناضول وقصده عشاق التصوف من كل أنحاء الأناضول. مارس التدريس والوعظ كما امتهن الزراعة من أجل تأمين معيشته. قام بتفسير مبادئ الطريقة الخلوتية والنقشبندية من وجهة نظره الخاصة وأسس الطريقة البيرامية التي انتشرت في أماكن مختلفة من الأناضول ولا سيما في وسط وجنوب شرق الأناضول. انظر:

Meydan Larousse: VIII: 298, *Evliyalar Ansiklopedisi*, VI: 334-338.

43 يونس أمره: الشاعر التركي (حوالي 1238-1320)، اشتهر بقصائده الصوفية ونال حب الناس كثيراً إلى حد التقديس. انظر: *Meydan Larousse*, XX: 411-412.

هذا العصر. وعلاوة على كل ذلك انتشرت التكايا الرفاعية[44] في مناطق مختلفة من الأناضول في القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر[45].

ويعود سبب توسع انتشار التصوف ومؤسساته في الأناضول إلى ما تركه المتصوفة من تأثير في الحياة الاجتماعية والثقافية وإلى ما نالوه من دعم وتشجيع من السلاطين والأمراء الذين قاموا باتباع إحدى الطرق الصوفية وساهموا في بناء التكايا والزوايا في المدن المختلفة [46]. وكان هؤلاء الحكام يشملون برعايتهم العلماء والشيوخ والمتصوفة المنحدرين من أصول عربية وتركية وفارسية ويوفرون لهم الإمكانيات المادية والمعنوية المختلفة ويحثونهم على البحث والتأليف[47]. وتحتفظ المصادر التاريخية بأسماء العديد من العلماء العرب والفرس الذين هاجروا إلى الأناضول ولقوا الدعم والرعاية من حكامها المسلمين، كما نشأ في مدارس الأناضول الكثير من العلماء الأتراك رحل قسم منهم إلى البلدان الإسلامية المختلفة واستقروا فيها.

وكانت الدولة السلجوقية في الأناضول تسعى إلى تحويل مراكز الاستيطان التي أقيمت حديثاً إلى مراكز ثقافية إسلامية، فأقيمت بتشجيع ودعم منها الكثير من المدارس والجوامع والزوايا وخانات المسافرين في الطرق الرئيسية.

ولم يقل دور مؤسسي الإمارات التي نشأت على أنقاض الدولة السلجوقية عن دور أسلافهم في رعاية أهل العلم والتصوف، إذ شملوا هؤلاء باهتمامهم ورعايتهم، وأقاموا مؤسسات ثقافية جديدة ورصدوا أوقافاً لها. وكان يتم إعداد الكوادر المطلوبة لهذه المؤسسات وكذلك للمؤسسات الإدارية من العناصر التي هربت نحو الغرب أثر الغزو المغولي، وكذلك من الذين كانوا يعملون في الإدارة المغولية

---

44 الرفاعية: طريقة دينية أسسها السيد أحمد بن علي العباسي الرفاعي (ت 578هـ/ 1183م) في العراق، ومنه انتقلت إلى الأناضول وسوريا ومصر. انظر : مركوليوث، الرفاعي، دائرة المعارف الإسلامية، ج10، ص 149-147. *Rehber Ansiklopedisi*, 17: 64-65.

45 *Fetihlerle Anadolu'nun Türkleşmesi*, 111.

46 F. Köprülü, 171, *Fetihlerle Anadolu'nun Türkleşmesi* , 112.

47 Osman Turan: *Selçuklular Devrinde Türkiye*, XXVI.

بعد انسحاب المغول بشكل تدريجي من هذه المناطق، أما الأنشطة التجارية والاجتماعية فقام بتوجيهها جماعة الآخية بتنظيمهم المحكم[48]. وكان الآخية الذين استقروا في أراضي الإمارات قد أقاموا تنظيماً على غرار «الفتوة» كان له دور كبير في إقامة النظام الاجتماعي في الأناضول وذلك عندما آلت الدولة السلجوقية إلى الانهيار وكذلك في تأسيس الدولة العثمانية[49]. وأصبح كل ذلك عوامل سهلت عملية تسريع الأسلمة في عهد الإمارات. وذكر ابن بطوطة أن جماعة الآخية كانوا يتواجدون في المدن والقصبات والقرى وكل الأماكن التي استوطنها التركمان في الأناضول. ويطلق «آخي» على من يقوم بتنظيم مجموعة من الشباب الأعزاب يمتهنون حرفة من الحرف ويتم اختياره من قبلهم. وتسمى هذه المجموعة «الفتوة» ويقوم الزعيم بإقامة تكية وفرشها... وتتبع جماعة الآخية مسلك الفتوة ويوصلون نسبهم إلى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) عن طريق الإمام علي.[50] وكان بينهم الكثير من القضاة والمدرسين والعلماء. ولهذا فإن تنظيم جماعة الآخية لم يكن كأي تنظيم حرفي، بل كان في الوقت ذاته (طريقة دينية) تسعى إلى نشر آرائها وعقائدها بتلك الوسيلة، ومارسوا نشاطاتهم في التكايا والزوايا التي أقاموها في كل المدن والقرى في الأناضول[51].

التعايش بين الأتراك المسلمين والأهالي غير المسلمين في الأناضول:

كان من نتائج فتح الأتراك للأناضول وانتشارهم من الشرق إلى الغرب أن قام الكثير من الأهالي غير المسلمين بترك أراضيهم والهجرة نحو الغرب، واستقر في أماكنهم الأتراك المهاجرون إلى الأناضول. ولكن وبعد أن خمدت الفتوحات السلجوقية نسبياً، وبعد أن تبلور موقف الأتراك غير المعادي تجاه غير المسلمين، عاد قسم من الذين تركوا أراضيهم إليها، فعندما لمس الروم الإمكانات التي

---

48 TDV.İA, III:112.

49 Ahilik, Meydan Larousse, I: 159.

50 ابن بطوطة: الرحلة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، تحقيق عبد الهادي التازي، الرباط، 1997م، مجلد 2: 163.

51 F. Köprülü, 182, Fetihlerle Anadolu'nun Türkleşmesi, 116.

يوفرها النظام الديني والاقتصادي الذي اتبعه الأتراك المسلمون فضّلوا العودة إلى أراضيهم والعيش في ظل النفوذ التركي وذلك من أجل التخلص من الضرائب الثقيلة التي فرضتها الدولة البيزنطية عليهم[52]. ولكن يبدو أن قسماً منهم لم يستجيبوا لنداءات السلاجقة بالعودة إلى أراضيهم التي بقيت متروكة. فقام السلطان السلجوقي غياث الدين كيخسرو (663هـ/ 1265م681-هـ/1282م) بنقل الفلاحين الروم من وادي مندرس إلى أطراف مدينة آق شهر وأسكنهم هناك وأقطع لهم أراضي ووفر لهم الآلات والأدوات الزراعية لزراعة الأراضي هناك، وأعفاهم من الضرائب لمدة طويلة، كما حذا الدانشمنديون وبنو آرتق حذوه. ويعود السبب في اتخاذ هذه الدول هذه الإجراءات إلى أنها كانت منشغلة بالجهاد وبحاجة إلى مقاتلين مهيئين للحرب بشكل دائم، ولهذا كانت تعد الأهالي غير المسلمين مكلفين للقيام بالزراعة، وذلك من أجل تأمين النظام الاجتماعي في البلاد وخاصة إذا علمنا أن الأتراك لم يكونوا قد تعودوا بعد على حياة الاستقرار في الأراضي الجديدة، إذ أن معظمهم كان رحلاً أو شبه رحل[53].

أما موقف سكان الأناضول من الوضع الجديد فلم يكن سلبياً، إذ أننا إذا استثنينا الأرثوذكس على وجه الخصوص، فإن النصارى ومنذ الفتوحات التركية الأولى لم يكونوا يكنون عداءً تجاه الأتراك، بل رأوا أن هذه الفتوحات ما هي إلا عقوبة نزلت على بيزنطة التي كانت تستهين بهم وتضطهدهم. إذ كانت الحكومة البيزنطية تجبر الأهالي في شرق وجنوب الأناضول والذين ينحدرون من أصول مختلفة على اعتناق الأرثوذكسية أو جعلهم روماً ويعرّضونهم إلى ضغوطات دينية ومالية ثقيلة. ولم تنته معاناة هؤلاء إلا بعد انضوائهم تحت نفوذ دولة سلاجقة الروم والدول التركية الأخرى التي أقيمت في الأناضول، فأدخلت هذه الدول الأهالي غير المسلمين في أراضيها ضمن النظام الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع التركي وذلك بفضل نظام أهل الذمة الذي طبقته بشروط أكثر مرونة من الدول الإسلامية التي كانت تعاصرها، وقد أصبحت هذه السياسة عنصراً عززّ وجود هذه الدول في الأناضول.

---

52 TDV. İA., III:114.

53 Ibid, III: 111-112.

وفي القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) غصّ وسط الأناضول بالأتراك ولاسيما المراكز التجارية كقونية وقيصرية وسيواس، وكانت القرى المجاورة لهذه المدن يسكنها الأهالي غير المسلمين. كما كانت هناك قرى يعيش فيها المسلمون إلى جانب الأهالي غير المسلمين. وعلى الرغم من أن المسلمين وغير المسلمين (النصارى بالدرجة الأولى واليهود بدرجة أقل) كانوا يقيمون في محلات منفصلة في المدن والقرى، إلا أنه كانت تربطهم علاقات ودية بالأتراك.

والحقيقة أن النزاع الدائر بين الدولة التركية وبيزنطة لم يكن له تأثير كبير على الأهالي، وكان الحكّام المسلمون يتّبعون سياسة التسامح مع الأهالي غير المسلمين، ويتركون لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية ويمدون إليهم يد المساعدة ولم يمارسوا قط الضغط عليهم لإدخالهم في الدين الإسلامي[54]. ونتيجة للعلاقات الودية والوثيقة بين المسلمين والأهالي فلا يستبعد أن يعتنق بعض النصارى من الأهالي الإسلام[55]. ولا سيما بعد أن توفرت دوافع قوية حدت بهم إلى تغيير ديانتهم منها تأمين منافع سياسية واقتصادية أو أسباب دينية صرفة، ولكن هذا الأمر لم يحدث من قبل الدولة أو قسراً. ولعل أحد الأسباب المهمة لارتدادهم ودخولهم في الإسلام هو عجز بيزنطة عن تأمين «منافع» للأهالي النصارى إزاء التسامح الديني الذي تتبعه الدول التركية، إذ أن المسيحية فقدت قوتها في الأناضول على نطاق واسع. فالفتوحات التركية في الأناضول والدول التركية التي قامت فيها أنهت سيطرة الكنيسة الأرثوذكسية وإدارتها المركزية على الأهالي الروم كما أدت إلى إضعاف الكنائس الصغيرة التابعة للطوائف المسيحية الأخرى. وبهذا أصبحت المسيحية في الأناضول – في ظل الظروف المستجدة- لا تتبع كنيسة مركزية واحدة، بل عدة كنائس صغيرة تتصرف كل واحدة منها بمحض إرادتها، الأمر الذي أدى إلى حرمان النصارى من الوقوف ككتلة واحدة أمام التحديات التي واجهتهم[56]. غير أن هذا الخلاف بين المذاهب المسيحية وما رافقه من صراع ديني بينها، والسياسة السمحة التي اتبعها السلاجقة وازدهار الحضارة الإسلامية

54 *Fetihlerle Anadolu'nun Türkleşmesi* , 139-140.

55 TDV.İA., III: 114-115.

56 Ibid, III: 114-115.

تباعاً... كل ذلك أصبح عوامل جذب الأهالي المسيحيين إلى الدين الإسلامي. ولهذا من الممكن القول أن هؤلاء اعتنقوا الإسلام على شكل أفراد إن لم يكونوا بشكل جماعي، وعلى الرغم من كل ذلك فإن المصادر التاريخية لا تعيننا في كشف هذا الأمر[57].

ويرى بعض الباحثين أن الأهالي المسيحيين في الأناضول انصهروا بشكل عام ضمن تجمع المسلمين الفاتحين، وإنه من الممكن القول بأنه جرت عمليات أسلمة كثيرة في الأدوار الأخيرة للسلاجقة والأولى للعثمانيين، وأن الأهالي المسيحيين والروم الذين اعتنقوا الإسلام لعبوا دوراً مهماً في تأسيس الدولة العثمانية. ويعتبر المستشرق H. A. Gibbons رائد هذا الرأي وذلك في كتابه قيام الدولة العثمانية. فبعد تأسيس دولة سلاجقة الأناضول انصهرت عناصر من الأهالي في الأناضول بين الأتراك بعد اعتناقهم الدين الإسلامي، كما دخل في الإسلام جمع من النصارى قصدوا الأناضول إثر الحروب الصليبية والتجأوا إلى أطراف إنطاكية في حالة يرثى لها حيث تلقوا معاملة حسنة من الأتراك المسلمين الذين آووهم ومدوا إليهم يد المساعدة، كما أن بعضاً من رجال الدين المسيحيين اعتنقوا الإسلام في القرن 13م بعد تأثرهم بآراء مولانا جلال الدين الرومي. غير أن عمليات الأسلمة هذه لم تكن تشكل إلا حالة متواضعة. وينبغي الإقرار أن العنصر الأساسي للأسلمة في الأناضول كان يتشكل من المسلمين الذين ينحدرون من الجنس التركي[58].

استكمال الفتوحات الإسلامية في الأناضول في عهد العثمانيين :

لم تتوقف عملية الأسلمة في الأناضول منذ توغل السلاجقة المسلمين إليها إثر معركة ملازكرد في سنة 463هـ/ 1071م ولغاية بروز العثمانيين كقوة سياسية وعسكرية مؤثرة في المنطقة، إذ استمرت العملية على قدم وساق ولم يمض وقت طويل حتى دخلت معظم أراضي الأناضول تحت النفوذ السلجوقي أو الإمارات التي

57 *Fetihlerle Anadolu'nun Türkleşmesi* , 137.

58 Hüseyin Yurdaydın, "Türkiye'nin Dinî Tarihine Umumî Bir Bakış", *İlahiyat Fakültesi Dergisi*, Ankara, 1961, IX : 113.

نشأت على أنقاضها ولا سيما الإمارة العثمانية التي تمكنت فيما بعد من تأمين وحدة الأناضول تحت الحكم الإسلامي.

والمعروف أن العثمانيين ينتمون إلى عشيرة قايي التركية. وهذه العشيرة كغيرها من العشائر التركية هاجرت إلى الأناضول، واستقر قسم منها في عهد السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباد الأول (616هـ/1219م634-هـ/1236م) في المنطقة الواقعة إلى الغرب من مدينة أنقرة، وتمكن قسم آخر منهم من السيطرة على سغد ودومانيج والاستيطان في أرجائهما. وفي هذه الأثناء تمكن زعيمهم ارطغرل بك من السيطرة على قره حصار في سنة 633هـ/ 1236م وثم على سغد وفرض الجزية على أمير الروم في بيلجك، وبهذا أرسى دعائم الإمارة العثمانية في الأناضول. واستغل عثمان الذي خلفه في الإمارة، الوضع المتردي لبيزنطة وقام بتوسيع رقعة إمارته على حسابها فسيطر على مدينتي اينونو واسكيشهر (سنة 688هـ/ 1289م) ثم أعلن نفسه أميراً على الثغور. وأقام عثمان علاقات مع جماعة الآخية التي كانت تشكل قوة سياسية مهمة في الأناضول، وتزوج من ابنة أحد شيوخ الآخية وهو أده بالي، وبهذا خطا خطوة مهمة من أجل توحيد الأناضول بالاستفادة من نفوذ الآخية[59].

وكانت الإمارة العثمانية في هذا الوقت بالذات تحيطها من الشرق والجنوب إمارات تركمانية، أما في الشمال والغرب فكانت تتاخمها الدولة البيزنطية التي كانت تعد الإمارة العثمانية والإمارات التركمانية الأخرى ألد أعدائها لأنها وّجدت على حسابها وتستهدفها فيما تبقى لها من ممتلكات في الأناضول. وكانت الدولة البيزنطية في هذا الوقت بالذات تعاني من الانحلال والضعف في النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية. إذ فقدت ومنذ وقت طويل خصوصيتها كدولة قوية[60]. وكانت القلاع البيزنطية الكائنة في الأناضول تدار كل واحدة منها من قبل أمير يسمى «تكفور» و بشكل شبه مستقل. وكان القسم الأعظم

---

59 خير الله أفندي تاريخي، استانبول، دار الطباعة العامرة، 2: 35 وما بعدها.

Yusuf, Halaçoğlu, *Anadolun'un Osmanlı Hakimiyetine Geçişi*, TDV.İA.,III: 116.

60 Metin Kunt, *Siyasal Tarih, Türkiye Tarihi, Osmanlı Devleti*, İstanbul, 1997, II: 31.

من الأهالي يعانون من الاضطهاد والإدارة التعسفية لهؤلاء الأمراء، كما أن البلدات البيزنطية التي سقطت فيما بعد بأيدي العثمانيين كانت تعاني من وطأة الضرائب المرهقة التي فرضتها الدولة البيزنطية عليهم[61].

وكان لموقع الإمارة العثمانية كإمارة ثغرية تتاخم الدولة البيزنطية أبلغ الأثر في استمرار المعارك والحروب بينهما. وكانت هذه المعارك تتمخض عادة عن انتصار العثمانيين وتوسعهم على حساب الدولة البيزنطية. ولم يمض وقت طويل حتى سيطر العثمانيون على أراضي واسعة تشتمل على مدن وبلدات مختلفة، بعد أن أفشلوا كل محاولات البيزنطيين بصدهم وإيقافهم[62].

ولم تتوقف الفتوحات العثمانية بوفاة عثمان، بل شهدت زخماً أكبر في عهد خلفه اورخان غازي (724هـ/1324م761-هـ/ 1360م) الذي تمكن من محاصرة الدولة البيزنطية في الأناضول واقتطع منها أهم ممتلكاتها ومدنها كبورصة وأزنيق وأزميد، ولم يكتف بهذا بل عبرت قواته إلى الروملي (بأوروبا) وتمكن من إدخال شواطئها تحت الحكم العثماني (754هـ/ 1353م)[63].

الثغور الإسلامية والعوامل التي ساعدت على تعزيز الوجود الإسلامي فيها

ويهمنا، بعد هذا السرد التاريخي، معرفة العوامل التي ساعدت العثمانيين في انتصاراتهم المتلاحقة هذه. وهل يكمن ذلك في الأوضاع المتردية للدولة البيزنطية فقط؟ وللإجابة عن هذا السؤال ينبغي الأخذ بنظر الاعتبار الأوضاع السائدة في الثغور الإسلامية المتاخمة للدولة البيزنطية، وثم الإجراءات التي اتخذها العثمانيون بشأن مواصلة القتال.

---

61 Fehamettin Başar: *Kuruluş Devrinde Osmanlı, Osmanlı Ansiklopedisi*, İstanbul, 1996, I:264.

62 Yusuf Halaçoğlu, III:116. وعن فعاليات عثمان ضد البيزنطيين يراجع: İ.H.Uzuncarşılı: *Osmanlı Tarihi*, (T.T.K) , Ankara, 1994, I:105-112.

63 Mustafa Nuri Paşa: *Netayicu'l-Vukuat*, (T.T.K), Ankara 1992, I-II : 605, Osmanlı Ansiklopedisi, 1:78.

ومما يتعلق بمنطقة الثغور نجد أن السكان هناك كانوا كلهم مجاهدين ومقاتلين مسلحين ومهيئين دائماً للمشاركة في الغزوات ومستعدين للدفاع عن كل أرض تتم السيطرة عليها من قبلهم، وحتى النساء هناك كن يشتركن في المواجهات العسكرية[64]. وقد تعزز الوجود الإسلامي في هذه الثغور بالهجرات التركية التي توالت إليها، وكانت المجاميع التركمانية في الأناضول تتهافت للانضمام إلى العثمانيين من أجل المشاركة في الغزوات التي تشن ضد البيزنطيين، ولا سيما بعد إعلان الإمارة العثمانية الجهاد المستمر ضدهم، الأمر الذي أدى إلى توسع الإمارة العثمانية خلال فترة قصيرة.[65] وكانت شهرة العثمانيين تطوف في الآفاق كلما يحصلون على أراض جديدة وأموال وأسرى. ويتقاطر إليهم «المجاهدون المسلمون» من كل النواحي وذلك «من أجل نيل ثواب الغزوة (الجهاد) والحصول على الغنائم والأسرى في الحروب، ولهذا ازدادت قوتهم وعظمتهم وشهرتهم بمرور الأيام»[66]. وكلما كان العثمانيون يحققون الانتصار على بيزنطة، كانت الأراضي العثمانية تصبح عامل جذب للذين لا يحبذون مواطنهم، إذ بدأ المجاهدون والعلماء والدراويش والشيوخ ورجال التصوف بالهجرة إلى مواطن العثمانيين وذلك من الأناضول والمناطق المختلفة من العالم الإسلامي ولا سيما الذين هربوا من ظلم المغول، والتجمع حول عثمان بك معززين فكرة الجهاد. ولهذا نجد أن الأمراء ومقدمي الدولة في فترة تأسيس الدولة العثمانية حملوا ألقاباً تتضمن عبارات دينية وذلك من أجل شحن روح الجهاد الإسلامي بهذه المجاميع، ومن هنا جاء حمل كل من أرطغرل وعثمان وأورخان بك لقب «غازي» الذي يعني « المجاهد أي المحارب في سبيل الله». وكان هؤلاء الأمراء يكنّون احتراماً كبيراً لرجال الدين والطرق الدينية ويجندونهم في وظائف الدولة المختلفة[67].

كما كان للمتصوفة وأصحاب الطرق الدينية الذين حطوا الرحال في الثغور تأثير كبير في طور تأسيس الدولة العثمانية وتوسعها، وقد ازداد هذا التأثير بعد زواج

---

64 Metin Kunt, II:32.

65 Fehamettin Başar, I: 264.

66 *Netayicu'l-Vukuat*, I-II : 12.

67 Şükrü Karatepe: *Osmanlılar'da Devlet Yönetimi*, *Osmanlı Ansiklopedisi*, I: 147.

عثمان مؤسس الإمارة من ابنة الشيخ أده بالي زعيم طائفة الآخية في الأناضول، إذ نال دعم هذه الطائفة التي كانت تتمتع بنفوذ ديني وسياسي كبير في الأناضول. وقد لعب هذا الأمر دوراً مهماً في تامين الوحدة السياسية للأناضول من قبل العثمانيين[68]. وكانت الطرق الدينية تأخذ على عاتقها تشكيل التنظيمات الدينية التي تؤثر على الأهالي من الناحية المعنوية وتوجههم على شكل مجاميع للمشاركة في الغزوات. وكانت التكايا والزوايا التي أقامها أصحاب الطرق الدينية تؤمن حاجات الأهالي فيما يتعلق بالمعتقدات والعبادات، كما كانت تقوم في الوقت نفسه بتنظيم أرباب التجارة والحرف على شكل نقابات وتساهم كذلك في تنفيذ الخدمات العامة كالتعليم والمواصلات والأمن[69].

والمعروف أن أورخان بك قد وزع الكثير من القرى التي تمت السيطرة عليها على الدراويش من أصحاب الطرق الدينية الذين شاركوا في فتح مدينة بورصة. وأخذ هؤلاء الدراويش على عاتقهم إعادة تنظيم المجتمع وفق التقاليد الإسلامية –التركية. وذلك بواسطة التكايا والزوايا التي أقاموها في هذه القرى. وكان السلاطين العثمانيون ينظرون دائماً بعين التقدير إلى الخدمات التي يُسديها هؤلاء الدراويش في المجالات المختلفة كالتعليم والإعمار والمواصلات واستتباب الأمن. وكانوا يولون الطرق الدينية عناية خاصة. والكثير من القرى الوقفية الكائنة في الأناضول الشرقي والروملي والتي استمرت إلى يومنا هذا، هي وقفيات للتكايا والزوايا التي أقامها الشيوخ والدراويش الذين شاركوا في الفتوح خلال دور تأسيس الدولة العثمانية. الأمر الذي يدل على مدى الاهتمام الذي أولته السلطات العثمانية بمنتسبي الطرق الدينية واحتضانها إياهم[70].

انتهج العثمانيون سياسة التسامح مع الأهالي غير المسلمين في الأناضول، ولم يفرقوا بينهم، ولم يفضلوا أتباع مذهب على مذهب آخر، وتركوا لهم حرية ممارسة الطقوس الدينية دون أن يتدخلوا في معتقداتهم، وأبدوا احتراماً كبيراً لحرية الضمير، ولم يفسحوا المجال لأية ممارسة كيفية مخالفة للقوانين المرعية للدولة،

68 Fehamettin Başar, I: 266.

69 *Osmanlı Ansiklopedisi*, I: 149.

70 Şükrü Karatepe, I: 147.

ومنحوا الأهالي حقوقاً يكفلها القانون. كما طبقوا نظاماً عادلاً في فرض الضرائب عليهم. وكانت هذه الضرائب بسيطة قياساً إلى الضرائب الباهظة والمجحفة التي فرضتها الدولة البيزنطية عليهم. وكانت لهذه السياسة آثار إيجابية ووقع حسن على الأهالي، إذ نال العثمانيون على أثرها تعاطفهم معهم، كما استمالوا الكثير منهم إلى جانبهم فأمنوا بذلك دخولهم طواعية في خدمة الدولة العثمانية، بل واعتنق الكثير منهم الدين الإسلامي، حتى اعترف المستشرق Gibbons قائلاً :»إن العثمانيين عندما أسسوا دولتهم جعلوا من مبادئ الحرية الدينية الحجر الأساس لدولتهم، ... وعاش النصارى والمسلمون بأمان في ظل الإدارة العثمانية»[71].

وذكر المؤرخ العثماني خير الله أفندي أن الدولة العثمانية في عهد أورخان قامت بتقليد الوظائف الحكومية الخاصة إلى أبناء النصارى الذين اعتنقوا الإسلام على أيديهم، وكان لهذا العمل وقع حسن عند النصارى حتى نعرف أن ألفاً من رعاياهم دخلوا في الدين الإسلامي، وذلك في حدود سنة 732هـ/1331م[72]. والحقيقة أن العثمانيين كانوا ينطلقون في سياستهم تجاه الأهالي هذه من السياسة السمحة التي أقرتها مبادئ الدين الإسلامي الحنيف.

العثمانيون ورعايتهم لرجال العلم والتصوف

ومما يجدر ذكره أن العثمانيين ومنذ توليهم الحكم في الأناضول شملوا رجال العلم والتصوف برعايتهم، وأولوا اهتماماً ببناء المؤسسات الدينية كالجوامع والمساجد والمدارس والربط والزوايا والتكايا... وغيرها. وأوقفوا لها أوقافاً خاصة بها، ولا تخلو أي مدينة من المدن العثمانية من هذه المنشآت الدينية التي ظلت معظمها ماثلة للعيان حتى الوقت الحاضر. ولم يتم بناء هذه المنشآت من قبل السلاطين فقط، بل تسابق رجالات الدولة والأعيان في إقامتها وإبراز جوانب الحضارة الإسلامية فيها[73].

---

71 Fehamettin Başar, I: 264-265..

72 خير الله أفندي تاريخي ج 3: 69.

73 ذكر المستشرق النمساوي هاممه ر أن الكثير من (أرباب الإخلاص) حذوا حذو السلطان عثمان، فأقاموا في عهد السلطان أورخان (أي في بداية العهد العثماني) في بورصة الجوامع والتكايا والمدارس، (انظر هاممه ر: دولت عثمانيه تاريخي، مترجمي محمد عطا، استانبول، 1336، 1: 142.

وكان سلاطين الدولة العثمانية يسعون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد ويجاهدون على فرض السيادة الإسلامية على أراض واسعة ويقاتلون من أجل تحقيق هذا الهدف، وفي هذا الخصوص يذكر المؤرخ العثماني مصطفى نوري باشا :» إن السلاطين العثمانيين طبقوا المبادئ الإسلامية بشكل وثيق، واتبعوها هم كذلك، وفوضوا أمور الشريعة إلى القضاة الذين عينوهم في المدن والبلدات الواقعة تحت نفوذهم، وعدّوا أنفسهم من الأهالي، ولم يتدخلوا مطلقاً في القرارات التي اتخذها القضاة، ونتيجة للعدل وسبل الأنبياء التي اتبعوها، أدخلوا ملكهم ودولتهم في حالة ديناميكية ومعمرة»[74]. كما استحدثوا مؤسسة المشيخة الإسلامية (شيخ الإسلاملق) لتكون أعلى مركز للإفتاء في الدولة والنظر في مدى انسجام التنظيمات والفعاليات التي ليست لها علاقة مباشرة بالحكم، بالشريعة الإسلامية. وأصبح شيخ الإسلام أكبر عالم ديني ذا صلاحيات في الدولة وفقيها ذا درجة رفيعة، وكانت مهمته الرئيسية هي الإفتاء في المسائل الدينية – الشرعية التي توجه إليه[75].

وتبين الوصية التي أوصى بها عثمان مؤسس الإمارة العثمانية ابنه أورخان مدى تعلق العثمانيين بالإسلام ورعايتهم للعلم والعلماء، ويقول فيها :

«... لا تقم بأي عمل تخالف به أمر الله تعالى، اسأل علماء الشريعة عن أي شيء تجهله، حتى تحيط به علماً، لا تباشر بعمل لا تعرف كنهه، أحسن إلى كل من يطعك، لا تبخل على جندك من الأنعام والإحسان، لأن الإحسان يستعبد الإنسان، لا تكن ظالماً، وأسعد العالم بالعدل. لا تترك الجهاد... وقم بمراعاة العلماء، أينما سمعت عن أهل علم أحسن إليهم وأكرمهم، إن مهمتنا هي نشر دين الله، وإلا ليست هي النزاع والسيطرة على العالم، وأنت أهل بكل ذلك، وكن دائماً منعماً بالإحسان للجميع، وقم بأمور الدولة على أكمل وجه»[76].

74 *Netayicu'l-Vukuat*, I-II : 11.

75 *Osmanlı Ansiklopedisi*, I: 151.

76 Fehamettin Başar, I: 267.

المصادر والمراجع:

1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، بيروت، 1987م، ج8

2) ابن بطوطة: الرحلة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، تحقيق عبد الهادي التازي، الرباط، 1997م، مجلد 2

3) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر: البلدان، فتحها وأحكامها، تحقيق سهيل زكار، بيروت، 1992م

4) بينز، نورمان: الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة، 1957م

5) جدعان، فهمي وآخرون: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، مسقط 1985م

6) حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة 1996، ج 1

7) خير الله أفندي تاريخي (تاريخ خير الله أفندي –باللغة العثمانية)، استانبول، دار الطباعة العامرة، ج 2

8) رنسيمان، ستيفن: الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، 1993م

9) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان (الحوادث الخاصة بتاريخ السلاجقة)، نشر علي سويم، أنقرة، 1968م

10) سليمان، أحمد عبد الكريم: المسلمون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط، القاهرة 1982

11) الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ط3، بيروت، 1991م ج 4

12) عاشور، سعيد عبد الفتاح: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، القاهرة، 1972م

13) عباس، إحسان: تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي، عمان، 1992م

14) فير، ابن العربي: دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة، ج1: 231–237.

15) كاراده فو، جلال الدين الرومي: دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، القاهرة، ج7

16) مركوليوث، الرفاعي: دائرة المعارف الإسلامية، ج10

17) هاممه ر: دولت عثمانيه تاريخي (تاريخ الدولة العثمانية– باللغة العثمانية)، ترجمه إلى العثمانية: محمد عطا، استانبول، 1336، ج 1

18) Ahilik, Meydan Larousse, İstanbul, 1992, I. (الآخية)

19) Ateş, Ahmet: Muhyiddin Arabi, *İslam Ansiklopedisi*, İstanbul, 1993, VIII

20) Barkan O.L.: *Osmanlı İmparatorluğunda Bir İskan ve Kolonizasyon Metodu Olarak Sürgünler*, İstanbul Üniversitesi İktisat Fakültesi Mecmuası, 11,1-4,1949-1950

(عمر لطفي بارقان: المنافي وسيلة للإسكان والاستيطان في الدولة العثمانية)

21) Barthold, W.: Ghazan, E.I.2 II: 1043.

22) Basar, Fehamettin: Kuruluş Devrinde Osmanlı, *Osmanlı Ansiklopedisi*, İstanbul, 1996, I

(فهام الدين بشار: الدولة العثمانية في عهد التأسيس)

23) Darkot, Besim: Anadolu, *İslam Ansiklopedisi*, İstanbul, 1993, I

24) *Evliyalar Ansiklopedisi*, İstanbul, 1992. (موسوعة الأولياء)

25) Halacoğlu, Yusuf: *Anadolu'nun Osmanlı Hakimiyetine Geçişi*, TDV.IA., III

(يوسف حلاج اوغلو: إنضواء الأناضول تحت الحكم العثماني)

26) *İslam Ansiklopedisi*, İstanbul, 1992

27) İZ, F.: Ahmad Yasawi, E.I2. I

28) Kafesoğlu, İbrahim: Malazgirt Muharebesi, *İslam Ansiklopedisi*, İstanbul, 1992

(إبراهيم قفس اوغلو: معركة ملازكرد)

29) Karatepe, Şükrü: Osmanlılar'da Devlet Yönetimi, *Osmanlı Ansiklopedisi*, I

(شكري قره تبه: إدارة الدولة عند العثمانيين)

30) Kaymaz, Nejat: *Malazgirt Savaşı ile Andolu'nun Fethi ve Türkleş-*

mesi, Malazgirt Armağanı, 1993
(نجات قايماز: دور معركة ملازكرد في فتح الأناضول وتتريكها)

31) Köprülü, Fuat: *Türk Edebiyatında İlk Mutasavvıflar*, Ankara 1961
(المتصوفون الأوائل في الأدب التركي).

32) Kunt, Metin: Siyasal Tarih, Türkiye Tarihi, *Osmanlı Devleti*, İstanbul, 1997, II
(متين كونت: تاريخ تركيا- الدولة العثمانية)

33) *Meydan Larousse-Büyük Lugat ve Ansiklopedi*, İstanbul, 1992
(موسوعة ميدان لاروس في 24 مجلدا)

34) Nuri Paşa, Mustafa: *Netayicu'l-Vukuat*, (T.T.K), Ankara, 1992, I-II
(مصطفى نوري باشا: نتائج الوقوعات)

35) Ocak, Ahmet Yaşar: Anadolu'nun Türkleşmesi ve İslamlaşması, Türkiye Diyanet Vakfı, *İslam Ansiklopedisi* (TDV. IA), İstanbul 1991, III
(احمد يشار اوجاق: تتريك الأناضول وأسلمتها)

36) Şeker, Mehmet: *Fetihlerle Anadolu'nun Türkleşmesi ve İslamlaşması*, Ankara, 1997
(محمد شكر: دور الفتوح في تتريك الأناضول وأسلمتها)

37) Sevim, Ali: *Anadolu'nun Fethi*,Ankara
,(علي سويم: فتح الأناضول)

38) Sevim, Ali Ve Yaşar Yücel: *Türkiye Tarihi, Fetih, Selçuklu ve Beylikler Dönemi* (T.T.K), Ankara, 1989
(علي سويم ويشار يوجل: تاريخ تركيا: الفتح وعهد السلاجقة والأمارات)

39) Sobieroj, F.: Suhrawardiyya: *Encyclopaedia of Islam*, New Edition, Leiden, 1986, IX

40) Taeschner, F.: Anadolu, *Encyclopaedia of Islam*, New Edition, Leiden, 1986, I

41) Turan, Osman: *Selçuklular Tarihi*, İstanbul,1969
(عثمان طوران: تاريخ السلاجقة)

42) Turan, Osman: *Selçuklular Devrinde Türkiye*, İstanbul, 1971
(عثمان طوران: تركيا في العهد السلجوقي)

43) Türkiye, *Meydan Larousse*, İstanbul 1992, XIX

44) Uzunçarşili, I.H: *Osmanlı Tarihi*, (T.T.K), Ankara, 1994, I
(إسماعيل حقي اوزون جارشيلي: تاريخ الدولة العثمانية)

45) *Yeni Rehber Ansiklopedisi*, İstanbul, 1993
(موسوعة رهبر-المرشد- الجديدة في عشرين مجلدا)

46) Yinanc, M.H.: *Türkiye Tarihi, Selçuklular Devri*, İstanbul, 1944
(مكرمين خليل ييننانج: تاريخ تركيا-عهد السلاجقة)

47) Yurdaydın, Hüseyin: "Türkiye'nin Dinî Tarihine Umumî Bir Bakış", *İlahiyat Fakültesi Dergisi*, Ankara, 1961, IX
(حسين يورد آيدين: نظرة عامة إلى التاريخ الديني لتركيا)